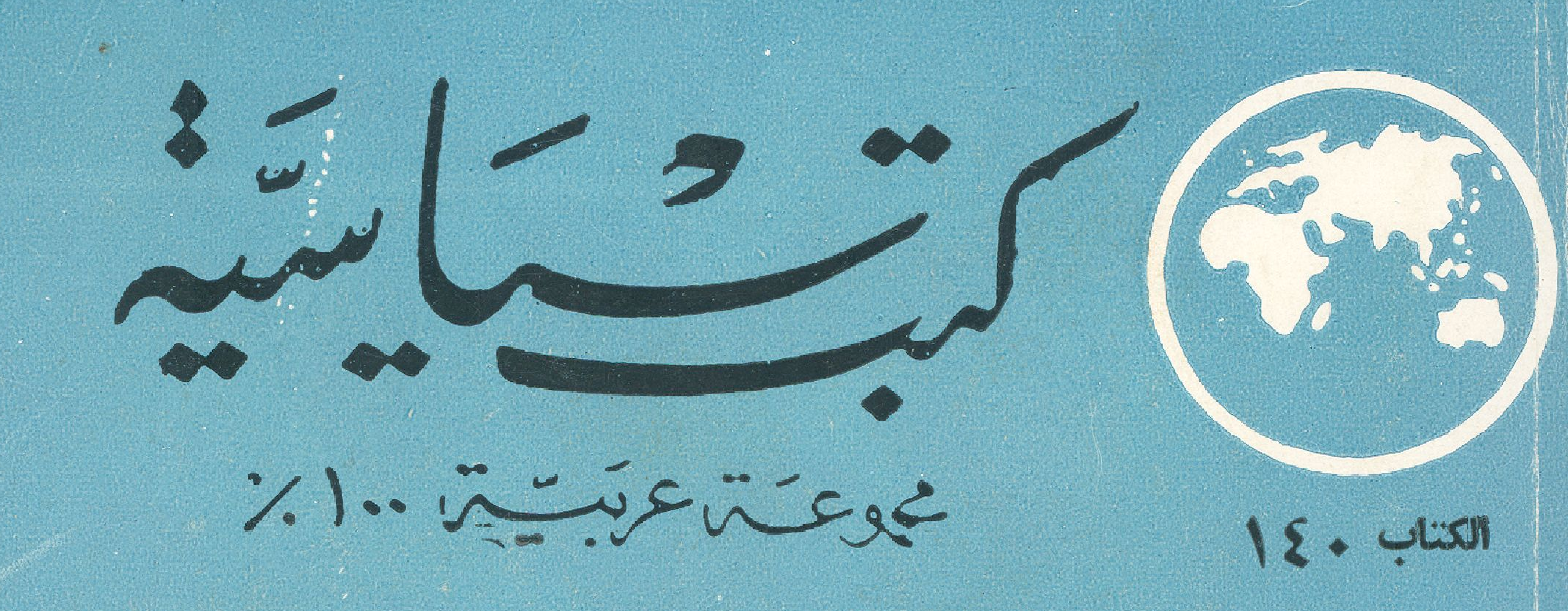


سقوط ديجول

بقلم
السيد الشوربجي

كتب سياسية

الكتاب ١٤٠

سقوط ديجول

بقلم

السيد الشوربجي

مقـــدمة

قدمنا للقارىء العربي فى العـــدد رقم ١٣٧ فى سلسلة ((كتب سياسية)) التى تصدرها الدار القومية للطباعة والنشر بالقـــاهرة تلخيصا وافيا لكتاب ((سقوط ايدن)) لمؤلفه النائب المحافظ راندولف ونستون تشرشل حيث اقترن اسم ايدن بسلسلة من المناورات والمؤامرات على الشعب العربي ..

وفى هذا العدد نقدم للقارىء العربي كتاب ((سقوط ديجول)) وهو نظير ايدن فى حبك المؤامرات ضد العرب فى الجزائر على وجه الخصوص .

والواقع أن مؤامرات فرنسا ضد العرب لا تفــرق بين الجزائر أو الجمهورية العربية المتحدة أو أى قطر عربى آخر حيث أصبحت القومية العربية تعنى فى المحل الاول أن للعرب وطنا واحدا تمتـــد رقعته من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى .

ونرجو أن يجد القارىء فى هذا الكتاب صورة أخرى لاحد دعائم الاستعمار الذين سقطوا واحدا تلو الاخر بفضل ايمـــان الشعب العربى بحقه فى الحياة . حرا عزيزا متحدا .

كتب سياسية

- ١ -

فرنسا قبل ديجول

واحب ان اصارح الشعب الفرنسى بأن مشكلة الجزائر مشكلة حرجة بالنسبة لنا .. وقد علمتنا الدروس التى لقنها التاريخ لفرنسا أن القوة وحدها لا تكفى وان فرنسا لن تستطيع ان تبقى سيطرتها على الجزائر بالقوة المسلحة وحدها . »

بورجيس مونورى
« اكتوبر ١٩٥٧ »

عقدة الهند الصينية :

فى ٧ مايو ١٩٥٤ حدثت كارثة ديان بين فو التى أسر فيها ستة عشر الف جندى فرنسى .. وأدى هذا الحادث الى انهيار الجيش الفرنسي كله فى الهند الصينية .. وسقوط وزارة «جوزيف لانييل» التى كانت قائمة حينذاك .

وجاء بعده « منديس فرانس » الذى أعلن انه سينهى الحرب خلال شهر .. وفعلا فى ٢١ يوليو سنة ١٩٥٤ وهو الموعد الذى حدده تم الاتفاق فى جنيف على استقلال الهند الصينية .. وبعد ذلك سحبت فرنسا جميع قواتها العسكرية منها .

.. وفى هذا الوقت ايضا كانت الثورة المسلحة تجتاح تونس ومراكش وأعلن منديس فرانس فى ٣١ يونيو سنة ١٩٥٤ أن حكومته قبلت مبدأ الاستقلال الداخلى لتونس .. ثم تباطأت فرنسا فى تنفيذ هذا الاعلان .. بينما استمرت على سياسة التعنت والمقاومة ازاء مراكش ..

قيام الثورة الجزائرية :

وجاء نوفمبر سنة ١٩٥٤ ..

قامت الثورة المسلحة فى الجزائر ..

واستهانت بها فرنسا فى أول الامر ..

ولكن كان رد الفعل لدى الشعب الجزائرى عنيفا وعميقا لدرجة اذهلت فرنسا ..

اذ فوجئت فرنسا بالثورة الجزائرية تجتاح البلاد بسرعة الكهرباء ..

وفشلت كل محاولات القمع الوحشية التى استعملتها فرنسا فى بادىء الامر ..

وتأكد لها انها تواجه عملا كبيرا لايستهان به .. فأرسلت نجدات سريعة من قواتها العسكرية حتى بلغ عدد قواتها مائة الف جندى بادىء الامر .

وازاء استمرار الثورة رغم ذلك وقعت فرنسا فى أزمة بالغة .

فالاوضاع فى تونس لم تستقر .. لانه منذ اعلان ٣١ يونيو ١٩٥٤ لم يكن قد تم تنفيذ شىء ..

والثورة فى مراكش مستمرة منذ خلعت فرنسا الملك محمد بن يوسف عن العرش ونفته الى جزيرة مدغشقر ..

استسلام فرنسا فى تونس ومراكش :

وازاء ضغط الحوادث اضطرت فرنسا الى التوقيع على اتفاقية يونيو ١٩٥٥ التى تعترف فيها لتونس بالاستقلال الذاتى مع احتفاظ فرنسا بحق الاشراف على الشئون الخارجية .

وعلى اثر ذلك زادت الثورة فى كل من الجزائر ومراكش .. وبلغت حرب التحرير المراكشية ذروتها فى أغسطس سنة ١٩٥٥ حين استولت قوات الثورة على مدينة وجدة قرب الحدود الجزائرية ..

ورات فرنسا لكى تستطيع التفرغ لقمع الثورة الجزائرية أن تسلم بمطالب الشعب المراكشي وأعلنت اعترافها باستقلال مراكش الداخلى فى أوائل نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

ومع ذلك استمرت الثورة فى مراكش لان جيش التحرير المراكشى رفض القاء السلاح لمجرد الحصول على الاستقلال الداخلى وطالب بالاستقلال لتام .

استمرار الثورة الجزائرية :

واستمرت الثورة فى الجزائر ..

وتعاقبت على الحكم فى هذه الفترة حكومتا منديس فرانس ثم « ادجار فور » ..

وكانت فرنسا على أبواب انتخابات عامة لتعيين ممثلى الشعب فى الجمعية الوطنية الفرنسية ..

وكانت مشاكل الحكم فى فرنسا حينذاك مركزة فى الحرب الدائرة فى الجزائر .. وفى مراكش .. وكان جزع فرنسا من حرب الجزائر أكثر من أى شىء آخر .. لان الوضع فى الجزائر بالنسبة لفرنسا كان يختلف كثيرا عن وضع كل من تونس ومراكش .. فتونس ومراكش طوال فترة الاحتلال الفرنسى لها كانتا تتمتعان بالشخصية الدولية ..

فمراكش كانت دولة خاضعة للحماية الفرنسية ..

وتونس كانت فى نفس المركز أيضا ..

ولكن الجزائر على العكس ..

لم تكن لها أى شخصية ذاتية فى نظر الاستعمار الفرنسى ..

كانت تعتبر جزءا من فرنسا .. أو بمعنى اخر اقليما فرنسيا يقع وراء البحر .

وكان تغلغل الاستعمار الفرنسى فى الجزائر بعيد المدى وقد اتبعت فرنسا خطة ابادة الجنس او على الاقل تجريده من كل امكانياته وذلك لضمان سيطرتها على الجزائر .. وكانت خطتها فى ذلك تقضى

باحلال الفرنسيين محل الوطنيين فى تملك الاراضى والصناعة والتجارة واتبعت سياسة واسعة فى التهجير واغـراق الجزائر بالفرنسيين ووجدت من الفرنسيين المشردين والعاطلين وخريجى السجون خير عون لها على تنفيذ سياستها هذه .. فملأت بهم الجـزائر ونزعت الاراضى الزراعية من أصحابها الاصليين وملكتها لهؤلاء المهاجرين ، ووضعت يدها على كل مرافق الاستغلال الصناعى والطبيعى ومنحته لشركات فرنسية تكونت من هؤلاء المهاجرين ايضـا .. وحولت اقتصاد الجزائر كله الى بنوك ومصـارف فرنسية تتحكم فيـه وتوجهه ..

وذهبت الى أبعد من ذلك فحاولت القضاء على الكيان الذاتى للشعب الجزائرى وهدم تاريخه وتراثه وماضيه ، واقامة فاصـل سميك بينه وبين حقيقته وتنشئة الجيل الجديد على الروح الفرنسية والثقافة الفرنسية ، ولكن فى ظل الجوع والتشرد والفقر القاتل .

المستوطنون الفرنسيون :

وقد ترتب على هذه السياسة الاجرامية أن وجدت فى الجزائر طبقة « المستوطنين الفرنسيين » وهم أولئك المهاجرين الذين ملكتهم فرنسا كل شىء فى الجزائر .. ويبلغ تعدادهم اليوم مليون فرنسى على الاقل .. وأصبح لهؤلاء المستوطنين قوة رهيبة طاغية لانهـا تملك كل ثروات الجزائر ..

وسنرى أن قوة المستوطنين الفرنسيين هذه قد تعدت نطاق الجزائر .. فأصبحت كل الحكومات الفرنسية تخشاهم وتعمـل لهم حسابا .. وان لم يكن خضوعها لهم عن طريق الخوف فقد كان يأتى عن طريق الرشوة والبذل السخى .. فلهؤلاء المستوطنين عدة منظمات سياسية وارهابية تحمى مصـالحها لدى الحكام وذوى النفوذ .. بالرشوة والتهديد .. بل لقد امتدت أيديهم الراشـية الى الصحافة ورجال الراى والفكر .. وأعضاء الجمعية الوطنيـة وقواد الجيش .. وكل من له كلمة أو نفوذ فى حكم فرنسا أوتوجيه

الرأى العام .. حتى أصبحت الكلمة هى كلمة المستوطنين بصرف النظر عن مصلحة فرنسا ذاتها ومصلحة الشعب الفرنسى ..

كان هذا هو وضع الجزائر ..

الجزائر تصبح مشكلة فرنسا الاولى :

سببت الثورة الجزائرية لفرنسا من الجزع والذعر أكثر مما سببته لها اية ثورة أو حرب أخرى .. وكان يهم فرنسا بأية طريقة من الطرق أن تنهى هذه الحرب وتعيد السلام الى الجزائر بأسرع وقت لحماية مصالحها أو بمعنى آخر مصالح المستوطنين التى أصابتها الثورة بأعظم الخسائر وافدحها ..

على أنه لم يكن هذا هو الاعتبار الوحيد القائم فى أذهان الناخبين الفرنسيين حينذاك ..

فقد كانت الثورة الجزائرية قد دخلت فى بدء عامها الثالث .. وكان ضحاياها قد زادوا بدرجة بشعة ، وكانت طريقة فرنسا فى مقاومة الثورة تنطوى على وحشية واجرام أثار ضدها الرأى العام العالمى وحتى أحرار فرنسا ذاتها حتى سميت حينئذ « بالحرب القذرة » ..

وليس هذا فحسب ...

فانها استنزفت مالية فرنسا .. وكلفتها فوق ما تطيق .. وكانت قوات فرنسا فى الجزائر فى ذلك الوقت قد بلغت أربعمائة ألف جندى يتكلفون ألف مليون فرنك يوميا « مليون جنيه تقريبا » ولم تكن الخزانة الفرنسية بقادرة على مواجهة هذه الاعباء .. فان افلاسها وتضخمها الذى سببته لها حرب الهند الصينية لم يكن قد عولج بعد .. ولم تكن قد أفاقت حتى تلك اللحظة من الاثار المدمرة التى أصابتها من حرب الهند الصينية .. الاثار الاقتصادية والنفسية وعدد الضحايا ..

ولذلك كان الشعب الفرنسى يتطلع الى حكومة تضع حدا لكارثة الجزائر هذه .. وينقذ شرف فرنسا الذى تمرغ فى التراب .. وينقذ شبابها من الموت الذى يلاقيه كل يوم على أيدى الثوار .. وينقذ

خزانتها التى افلست وسببت ضيقا خانقا للحكومة وللشعب الذى يدفع مزيدا من الضرائب ويتحمل مزيدا من الاعباء لكى يواجه عجز الخزانة ويعوض افلاسها .

الانتخابات الفرنسية فى ١٩٥٦ :

فى هذا الجو جرت الانتخابات الفرنسية فى أوائل سنة ١٩٥٦ . وكان الحزب الاشتراكى الفرنسى هو أبرز الاحزاب الفرنسية فى المعركة ..

كانت مبادئه تربط الشعب الفرنسى بأمانيه .. وكانت كل دعايته مركزة على ما صرح به جى موليه رئيس الحزب من أنه عندما يتولى الحكم فسيوقف الحرب القذرة فى الجزائر .

قال بالنص : « « اننى اشتراكى أكره الحرب .. واننى لذلك سأعمل على ايقاف الحرب القذرة التى تشنها المائتا عائلة التى تحكم فرنسا على الشعب الجزائرى .. »

جى موليه يتولى الحكم ويخون وعوده :

ونجح الشعب الاشتراكى فى الفوز بأكبر عدد من مقاعد الجمعية الوطنية بالنسبة لباقى الاحزاب .. واستطاع جى موليه على أثر ذلك تشكيل الحكومة الفرنسية بالاتفاق مع الحزب الراديكالى ..

فماذا فعل ... ؟

استقبله المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر بثورة واستنكار ، وكانت لاتزال اقواله أيام المعركة الانتخابية ماثلة فى اذهانهم .. أنه سيعمل على ايقاف الحرب القذرة التى تشنها المائتا عائلة فى الجزائر .. فقد خافوا على مصيرهم منه ...

وبدأ جى موليه يعمل ..

عين الجنرال « كاترو » مقيما عاما فى الجزائر .

وذهب « كاترو » الى هناك بنوايا حسنة ورغبة فى علاج الموقف بالحد من أطماع الاستغلاليين واصحاب رءوس الاموال ..

ولكن .... قوبل بمظاهرات صاخبة تبصق عليه وتدعوه للعودة واضطر جى موليه الى السفر بنفسه الى الجزائر .

وهناك ... عجز البــوليس والجيش عن حمايتـــه من ثورة المستوطنين الفرنسيين .. أو على الاصح تواطأ البوليس والجيش مع المستوطنين لاظهار سخطهم على سياسة جي موليه التى ينوى اتباعها .. وواجهته المظاهرات الراعدة ..

وقذفوه بالطماطم والبيض وهتفوا بسقوطه .

انهيار ٦ فبراير :

وعاد جي موليه من الجزائر برأس جديدة غير التى ذهب بها .. وخط بقلمه أول سطر فى تاريخ انهياره وسقوطه .. فى ٦ فبراير سنة ١٩٥٦ عزل الجنرال كاترو ..

وعين بدله « روبير لاكوست » وأرسله الى الجزائر ليفعل هناك كل ما يخطر بباله وما يأمره به المستوطنون .

وبدأ عهد جي موليه ..
اليد القذرة التى حملت وزر أبشع الجرائم فى تاريخ الحــرب الجزائرية ...

لم يوقف الحرب القذرة ..

بل زادها اشـــتعالا .. وزادها قذارة .. وحينئـــذ هلل له المستوطنون وغلاة الاستعماريين ..

فقد خضع لهم من أول لحظة .. خضع لهم بصورة ذليلة مخزية وبطريقة لم يكونوا يتخيلونها على الاطلاق ، بل لقد أصبح استعماريا أكثر منهم ..

وقال عنه « روجيه روشيه » أحد كبار الاستعماريين الفرنسيين وأكبر عميل من عملاء المستوطنين .. قال « اننا مستعدون لتأييــد أى رجل من أى حزب يؤيد سياستنا ، والافضل أن يقوم بتنفيــذها من كان يعارضها من قبل ، وقد وجدنا غايتنا فى جى موليه » ..

وجدوا غايتهم فى جى موليه لتنفيذ السياسة التى كان يعارضها من قبل .. ولم يكن هناك أخزى من هذا التعبير للدلالة على انهيــار جى موليه كرجل صاحب مبادىء باعها بأبخس الاثمان ..

سياسة جي موليه :

ولكي لا نطيل الكلام .. نستعرض بسرعة خطوط السياسة التي اتبعها جي موليه خلال فترة حكمه التي امتدت من يناير ١٩٥٦ حتى ٢٢ مايو ١٩٥٧ أي ما يزيد على ستة عشر شهرا .

أولا : في الميدان العسكري طلب « روبير لاكوست » زيادة قواته العسكرية الى نصف مليون جندي فأجيب الى طلبه .. وأطلقت يده في الجزائر ونفذ خطة لابادة الشعب الجزائري باعتباره المنبع الذي يخرج منه الثوار .. فكانت حملات الجنود الفرنسيين تشن كل ليلة على القرى الآمنة .. والجهات التي يتركز فيها السكان الجزائريين وكانوا يبدأون باخراج السكان من بيوتهم .. ثم يأخذون من بينهم الشباب والرجال الاقوياء ثم يذبحون ويقتلون الشيوخ والنساء والاطفال ويبيدونهم عن آخرهم .. ويرسلون بالشبان الى معسكرات التعذيب والاستنطاق لمحاولة الحصول على معلومات منهم ضد الثوار .. وكان هؤلاء الشبان لا يعيشون طويلا في معسكرات التعذيب فقد كانت أرواحهم تفيض دائما من هول ما يلاقونه من عذاب وتنكيل يستحيل وصفه ..

وبلغ عدد ضحايا الجزائريين في عهد لاكوست وحده نصف مليون جزائري اى خمسمائة ألف ، ٩٩٪ منهم من المدنيين العزل الذين لا يحملون سلاحا ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم .. من الشيوخ والنساء والاطفال وضحايا معسكرات التعذيب .

ثانيا : في الميدان السياسي .. أبرز محاولة قام بها لتصفية الثورة الجزائرية ذلك العرض الذي قدمه للثوار على أساس قرارات أصدرها مؤتمر انعقد في مدينة « ليل » بفرنسا ..

وكانت هذه القرارات تهدف الى فتح باب التفاوض مع ممثلين منتخبين للمفاوضة على أساس منح الجزائر ادارة ذاتية تضمنها هيئات داخلية تملك سلطة تشريعية وتنفيذية .. وذلك بالطبع مع بقاء الجزائر تابعة لفرنسا . فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والتعليم والمالية وخاضعة في النهاية لحكم وزير فرنسي تعينه باريس يكون هو

رئيسا للادارة الداخلية الجزائرية وعضوا فى الوزارة الفرنسية فى ذات الوقت .

... ولم تهتم جبهة التحرير الوطنى الجزائرى بهـذا العرض المضحك الذى لا ينطوى على شيء يمكن بحثه ..

ومع ذلك فقد ظل جى موليـه طوال مدة حكمه يحلم باجراء انتخابات فى الجزائر لتعيين المفاوضين الصالحين الذين يرسـمون مع الحكومة الفرنسية مستقبل الجزائر وتحديد مكانهـا فى نطاق الاتحاد الفرنسى .

وظل جى موليه يحلم .. حتى انهارت احلامه بانهياره هو ذاته .

فشل جى موليه :

وكتب لجى موليه الفشل المخزى فى سياسته ..

فلا الخطط العسكريةالاجرامية ولا الخططالسياسية الساذجة اثرت فى الثورة الجزائرية .

ذلك أن الحرب الاجرامية التى شنها جى موليـه على الشعب الجـزائرى كانت ـ على العكس ـ سببا لازدياد الثورة وتمكنهـا وانتشارها ، وحافزا عمليا على تكتل الشعب حول الثورة .. وكانت هذه المحنة هى المحك الذى اختبرت به ارادة الشـعب الجزائرى وخرج من هذا الاختبار اشد اصرارا وتصميما على مواصلة الكفاح مهما كانت التضحيات ..

ـ كان هذا هو مظهر الفشل فى سياسة جى موليه ازاء الثورة والشعب الجزائرى ..

ـ ولم يكن الفشل وحده هو الذى خطم جى موليه ..

ذلك ان جى موليه ساق بسياسته هذه الشعب الفـرنسى الى كارثة رهيبة ..

فقد كان كل يوم يمضى يزداد فيه عدد القتلى من الجنود والضباط

الفرنسيين لدرجة ان الحكومة الفرنسية كانت تخفي أنباء خسائرها هذه عن الشعب بل وعن أهل القتلى انفسهم الى حين .

وكان كل يوم يمضي يحمل معه عدداً من القتلى .. فى بعض الكمائن كان ضحايا الفرنسيين يبلغون المائتين ..

وكبدت الثورة فرنسا خسائر مذهلة فى المعدات والاسلحة وقوافل التموين ووسائل النقل من قطارات وسيارات وطائرات .

وأحرقت الثورة مزارع المستوطنين الفرنسيين ونسفت كثيراً من أماكن تجمعهم وقضت على عـــدد ضخم من الرءوس المدبرة للاجرام هناك .

وكانت كارثة فرنسا العظمى هى فى تكاليف الحرب .. فقد كانت تتكلف أكثر من ثلاثة ملايين دولار يوميا وكان لابد أن يظهر أثر هذا فى ميزانية فرنسا .. فقـد ظهر عجز ضخم فى ميـزان مدفوعاتهـا .. واضـطرت الى سحب الغطاء الذهبى لعملتها .. واضطرت الى سحب رصيدها فى البنك الدولى للانشاء والتعمير وفى صندوق النقد الدولى .. واضطرت الى الاقتراض من هـذا الصندوق .. ومن الولايات لمتحدة .. بل ومن المانيا الغربية التى أقرضتها ستمائة مليون دولار .. وكان وقع هذا القرض مدمراً للكرامة الفرنسية اذ قيل يومها هذه المانيا بعد اثنى عشر عاما من استسلامها فى الحرب العالمية الثانية ترفع رأســها .. وتقرض فرنسا لانقاذها من الافلاس ، فهل كانت المانيا أم فرنســا هى المنهزمة فى الحرب ! !

ونسيت فرنسا ما صنعته بها المانيا ..

نسيت أيام الاحتلال .. ومعسكرات التعذيب .. والاذلال .. والاقدام التى داست على رقاب شعبها .. وماذا .. نسيت أوائل سنى حياتها .. وكان الالمان هم الذين صنعوا لها هذا الذل ..

ومع ذلك اضطر ديجول ان يمد يده لهم ..

ودفع الثمن غاليا ..

فقد تنازل لالمانيا عن منطقة « السار » .

وقبل الدخول معها فى عدة احلاف واتفاقيات .. أخطرها كان حلف الاطلنطى الذى يسمح لالمانيا باعادة بناء كيانها العسكرى وجيشها .

واشرك المانيا الغربية معه فى استغلال ثروات المستعمرات الفرنسية وأهمها الصحراء الجزائرية ..

أزمة فرنسا :

ومع ذلك .. فقد بقيت أزمة فرنسا تطحنها طحنا ، وهذا ما يقوله كاتب فرنسى فى تصوير هذه الازمة حينذاك .. الكاتب « بيير كورتاد » كتب فى مجلة الشئون العالمية « أنتر ناشيونال افيرز » فى العدد العاشر لسنة ١٩٥٧ يقول : « من الصعب على أى انسان زار باريس فى صيف ١٩٥٧ أن يصدق أن فرنسا تجتاز أخطر أزمة اقتصادية ومالية وسياسية شهدتها منذ تحريرها من النازى حتى اليوم » ويفسر الكاتب هذه الازمة بقوله : « وقد استمرت وزارة موليه فى الحكم أكثر من عام وهى تتبع سياسة خدمة البرجوازية الكبيرة والاستعماريين الفرنسيين ، ولم تتمكن من البقاء الا لخيانتها للبرنامج الانتخابى الذى ارتبط به موليه أمام الناخبين فى ٢ يناير ١٩٥٦ » .

ويقول الوزير الاشتراكى الفرنسى « أندريه فيليب » فى كتابه (الاشتراكية التى خانوها) ، « وتعلم فرنسا أنها لن تحصل على نصر عسكرى حاسم .. فقد يمكن أن يستتب النظام نسبيا طالما بقى فى البلاد الخمسمائة الف رجل ، أى جندى واحد لكل اثنين من المدنيين . غير أن اقتصادنا فى خطر ولن يواصل الاقتصاد الداخلى توسعه بصرف ٤٠٠ مليار فرنك كل عام لقمع ثورة الجزائر . »

وكان لابد لجى موليه رغم كل هذا الخراب الذى منيت به البلاد فى عهده . كان لابد له أن يستمر .. لكى ينفذ حتى النهاية سياسة

الطبقة البرجوازية الكبيرة والاستعماريين الفرنسيين والمستوطنين فى الجزائر ..

سقوط جى موليه :

ولكى يستطيع أن يستمر كان لابد له من أن يجد حلا للافلاس الذى « أصاب الخزانة الفرنسية فى ذلك الوقت .. فاضطر الى الاعتراف بأن الخزانة الفرنسية خاوية وان العجز قد بلغ خمسمائة الف مليون فرنك .. وحاول وزير ماليته « بول رامادييه » أن يضع مشروعا لموازنة الميزانية ونفى أن هناك فكرة لفرض ضرائب جديدة ، ولكنه فشل .. واضطر جى موليه آخر الامر أن يعرض على الجمعية الوطنية الفرنسية مشروعا بفرض ضرائب جديدة .

وكانت هذه هى العاصفة التى اجتاحت فى طريقها وزارة جى موليه .. فقد قوبل المشروع بمعارضة طاغية ..

واضطر جى موليه أن يقامر بمستقبل وزارته فى سبيل المشروع فقد كان يعرف انه لن يستطيع الاستمرار فى تنفيذ سياسته التخريبية الا بهذه الضرائب ..

وكانت المقامرة خاسرة ..

فقد أسقطته الجمعية الوطنية اذ لم يحز على عدد كاف من الاصوات لكى يفوز بالثقة ..

ومن ثم اضطر الى تقديم استقالته ..

وبذلك طويت صفحة سوداء من صفحات التاريخ الفرنسى ..

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن جى موليه الساقط كان لا يفتأ طوال مدة حكمه يردد كلمته المشهورة : ان الحرب الجزائرية فى نزعها الاخير .. وانني سأحقق لكم السلام بعد ثلاثة شهور .. وان الثورة قد تم اخمادها وبقيت فلول لابد من مطاردتها .. الخ . وكان عميله المجرم « روبير لاكوست » يردد معه نفس المعنى بقولته المشهورة التى أصبحت وسيلة للتندر عليه والسخرية منه ، قوله « ان الثورة الجزائرية فى ربع ساعتها الاخيرة » .

هؤلاء الفاشلون ..

اصحاب نظرية « الربع ساعة الاخيرة » قد سقطوا فى الوقت الذى كانت الثورة الجزائرية تجتاز ذروة القوة فى تاريخها وتضرب واثقة فى جبهة محطمة مضعضعة منقسمة على نفسها .. تلك كانت الجبهة الفرنسية التى غاب عنها فارسها « المغوار » جى موليه ..

وجاء بورجيس مونورى :

وجاء بعده رجل المخابرات والارهاب « بورجيس مونورى » .. وقد كان وزيرا للحربية فى وزارة جى موليه الساقطة ..

ولم يكن تولى بورجيس مونورى الحكم بعد جى موليه مقصودا منه معالجة أخطاء جى موليه الشائنة والتحول عن سياسته ومحاولة وضع حل سياسى عادل لمشكلة الجزائر تنتهى بها الحرب ويعود السلام ..

لم يكن هذا هو الهدف ..

وانما كانت القوى الرأسمالية فى فرنسا متعاونة مع قوى المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر — يعتبرون جى موليه مسئولا عن استمرار الثورة الجزائرية حتى تلك اللحظة ، ويتهمونه بالفشل فى اخمادها .. ولذلك أسقطوه ليمهدوا السبيل لرجل أقوى منه وأخطر يستطيع بيد من حديد أن يقضى على الثورة الجزائرية بأسرع وقت ممكن وبذلك ينقذ فرنسا من الافلاس والهاوية ..

فلم يكونوا اذن يبحثون عن حل سلمى للمشكلة يعترف للجزائريين بحقوقهم المشروعة فى الاستقلال والتحرر .

وانما كانوا يبحثون عن وسيلة اقدر لاخماد الثورة والابقاء على الجزائر فى قبضة فرنسا ..

ولذلك جاءوا ببورجيس مونورى .. وهو من الارهابيين المعروفين ، وقد تدرب على أعمال المخابرات والارهاب منذ أن نظم شبكة المخابرات التابعة للجنرال ديجول اثناء الحرب العالمية الثانية .. وتمرن على وسائل التنكيل والتعذيب عندما تولى وزارة الداخلية فى حكومة « ادجار فور » حتى ديسمبر عام ١٩٥٥ .. وكان هو المجرم الاول فى حرب السويس عام ١٩٥٦ ..

الطريق القـذر :

قرر مونورى أن يسير فى نفس الطريق القذر .. ولذلك أبقى على روبير لاكوست فى مركزه بالجزائر .. وسار معه فى طريق الارهاب .. وكان يحلم بتحطيم الثورة والقضاء عليها ..

ودفعه غروره الى أن يقول حينذاك بكل صفاقة ووقاحة : « اننا أصبحنا اليوم نفهم الحرية أكثر من أى وقت مضى .. اننا نواجه فى الجزائر نوعا من التعصب الاعمى باسم حرية أمة لا وجود لها » .

ولكن شعب الجزائر أثبت انه يتعصب لحرية أمة لها وجود يملأ سمع الدنيا وبصرها .. ويغشى عيون الاستعماريين والمرتشين حتى يعميهم عن رؤيتها ..

ولم يمض وقت طويل بعد هذا التصريح الاعمى حتى وقف نفس بورجيس مونورى يبكى ويقول بصوت متهدج « وأحب أن أصارح الشعب بأن مشكلة الجزائر مشكلة حرجة بالنسبة لنا ، وقد علمتنا الدروس التى لقنها التاريخ لفرنسا أن القوة وحدها لا تكفى ، وان فرنسا لن تستطيع أن تبقى سيطرتها على الجزائر بالقوة المسلحة وحدها » .

وقبل أن يسجل مونورى على نفسه هذا الاستسلام الذليل أمام ثورة الابطال كان قد مر بنفس طريق الهزيمة الذى سار فيه جى موليه من قبل ..

وكان الثمن أفدح ..

فقد ترتب على سياسة مونورى أن ازداد الموقف الاقتصادى فى فرنسا سوءا على سوء .. فقد انخفض رصيد بنك فرنسا من العملات والذهب الى ٨٩٤ مليون دولار بعد أن كان ١٩٨٠ فى نهاية عام ١٩٥٥ أى بعجز قدره حوالى ألف ومائة مليـــون دولار .. وازداد عجز الميزان التجارى من ١١٠ مليار فرنك الى ٢٢١ مليار فرنك أى زاد العجز الى الضعف ..

هذا كله بجانب الروح المعنوية المنهارة التى سيطرت على القوات الفرنسية المحاربة وعلى الشعب الفرنسى الذى يتحمل وحده كل هذه التضحيات ..

وأراد مونورى أن يصنع شيئا ..

مشروع مونورى السياسى :

فوضع مشروعا سياسيا لحل مشكلة الجزائر ..

وكان مشروعه يقضى بأن تقسم الجزائر الى أقاليم لكل منها مجلس وطنى منتخب ينظر فى شئون المنطقة الداخلية .. وتنشأ فى مدينة الجزائر سلطة اتحادية عليا لتنسيق نشاط مجالس الاقاليم .. ويكون رئيس هذه السلطة الاتحادية فرنسيا تعينه الحكومة الفرنسية ويكون بمثابة حاكم عام أو رئيس للحكومة المحلية .. وتباشر هذه الحكومة المحلية السلطات الداخلية فقط .. وتبقى لفرنسا السلطة العسكرية والبوليسية بجانب مباشرتها للشئون الخارجية والمالية ..

ولم يكن هذا المشروع يختلف كثيرا عن مشروع جى موليه السابق .. بل أكثر دقة منه فى تنظيم استعمار الجزائر وضمان استمرار هذا الاستعمار عن طريق الحكومات المحلية والسلطة الفيدرالية فى الجزائر ..

معارضة المستوطنين :

ومع ذلك ...

فلم يكد مونورى يعلن هذا المشروع حتى عارضه المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر واجتمعت على الفور اتحادات أصحاب الاراضى وأصحاب الشغل وممثلو بنك الاراضى الجزائرية وممثلون من احتكارات الصناعة والزراعة والتجارة واتخذوا قرارا اجماعيا بمعارضة مشروع مونورى واسقاط حكومته ..

كانوا لا يريدون أن تعترف فرنسا للجزائر باى شخصية أو اى نوع من أنواع الحكم الذاتى أو الداخلى .. وكانت خطتهم التى يتمسكون بها دائما هى ادماج الجزائر بفرنسا ومحاربة كل فكرة تهدف الى انكار نظرية الادماج حتى ولو كانت فكرة استعمارية وتضمن تنظيم الاستعمار الفرنسى للجزائر بطريقة أحسن كفكرة مونورى التى بنى عليها مشروعه ..

سقوط مونورى :

ولذلك لم يكد مونورى يعرض مشروعه على الجمعية الوطنيـة حتى كان المستوطنون قد أعدوا العدة ودفعوا الثمن للنواب الفرنسيين لكي يسقطوه ويسقطوا مشروعه معه ..

واحس مونورى بشدة التيار الموجه ضـــده .. واشفق على مصيره فوقف فى ذلك اليوم يوجه نداء الى الشعب الفرنسى كله لعله ينقذه .. قال فى بيانه الباكى ما يلى :

« اننى اتوجه بهذا النداء الى الامة الفرنسية فى أحرج لحظات تمر بنا منذ الحرب العالمية الثانية . لقد انقسمت الامة الفرنسية على نفسها انقساما خطيرا لم يسبق له مثيـــل فى تاريخها بسبب مشروعنا الجديد للجزائر .. وهذا الانقسام يهدد حاضرنا ومستقبلنا خاصة وأن هيئة الامم المتحدة ستجتمع بعد أيام لتناقش موقفنا فى الجزائر .. واحب أن أصارح الشعب بأن مشكلة الجزائر مشكلة حرجة بالنسبة لنا ، وقد علمتنا الدروس التى لقنها التاريخ لفرنسا ان القوة وحدها لا تكفى ، وان فرنسا لن تستطيع أن تبقى سيطرتها على الجزائر بالقوة المسلحة وحدها » .

ولكن الجمعية الوطنية أسقطته رغم ذلك .. فعند ما رفضت مشروعه ، عرض الثقة بحكومته وبالطبع لم تفز بالثقة وكانت نتيجة الاقتراع ٢٧٩ صوتا ضده و ٢٥٣ معه .. وكان ذلك فى أول أكتوبر سنة ١٩٥٧ أى بعد حكم لم يستمر سوى أربع شهور فقط ..

هذا .. ولم يذكر نواب الجمعية الوطنية حين صوتوا ضـــد مونورى كلمته المريرة التى ذكرهم فيها بالدروس التى لقنها التاريخ لفرنسا ..

لم يذكروا أن فرنسا فى الميدان العسكرى كانت دائمـــا تخرج منكسرة ذليلة تجر أذيال الهزيمة والعار يلاحقها ..

فى حرب سنة ١٨٧٠ ضد بروسيا وحلفـائها الالمان .. وفى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ هزمت جيوش فرنسا شر هزيمة امام المانيا .. وكانت الجيوش الالمانية تدق أبواب باريس لولا دخول أمريكا الحرب سنة ١٩١٦ وتغير ميزان القـوى فى الحرب وكانت هزيمة فرنسا فى الحرب العالمية الثانية وسقوط باريس فى عام ١٩٤٠ أبشع هزيمة اذلت فرنسا فى تاريخها .. وظل الاحتـلال الالمانى لفرنسا مستمرا أربعة أعوام ذاق الشعب الفرنسى خلالها أقسى تجربة من الذل والمهانة والآلام عرفهـا شعب .. ولولا جيـوش امريكا وبريطانيا التى حررت فرنسا لما استطاعت هذه أن تقوم لها قائمة .

وبعدها توالت هزائم فرنسا فى حروب المستعمرات ..

هزمت فى حرب الهند الصينية واستسلمت بعد ثمان سنوات واضطرت لسحب جميع قواتها ..

وهزمت من قبل أمام حرب التحرير فى سوريا ولبنان .

وفى حرب التحرير بتونس ومراكش ..

لم يذكر نواب الجمعية الوطنية هذا التاريخ الذليل الذى ذكرهم به مونورى وهو يودع أيام حكمه الفاشل ..

بل ان مونورى ذاته لم يذكر هذا التاريخ الذليل حين كان يضع مشروعه الاستعمارى .. فان هذا المشروع لم يكن ينهى المشكلة ولم يكن يمس أمانى الشعب الجزائرى وقيمة كفاحه البطولى .. ولم يكن يستجيب للواقع الذى عنوانه أن الشعب الجزائرى يتقدم نحو الاستقلال وان الجزائر قد هزمت من يد فرنسا الى الابد .. وكان مشروع مونورى يعنى أن الحرب ستظل مستمرة لانه ما دام الطرف الاخر للمشكلة لا يقبل هذا المشروع ولا يرضى عنه فان الثورة ستظل مستمرة وستظل فرنسا عند موقفها من محاولة اخماد الثورة بالقوة المسلحة أيضا .. تلك القوة التى قال عنها مونورى ان التـاريخ علمهم أنها لا تكفى .

اخطر ازمة منذ الحرب العالمية الثانية :

وبعد سقوط مونورى عاشت فرنسا أياما عصيبة .. وعاد مسيو كوتى رئيس جمهورية فرنسا يتشاور من جديد لايجاد الرجل الذى يستطيع قيادة فرنسا فى فترة من أحلك فترات تاريخها منذ الحرب العالمية الثانية ..

واستمرت المشاورات طويلا ..

واجتاحت فرنسا مقدمات ثورة ..

كانت المظاهرات تجوب الشوارع هاتفة نريد الخبز .. نريد الطعام .. واجتاحت الاضرابات صفوف العمال وطالبوا بزيادة الاجور ورفع الضرائب غير المباشرة على المواد الضرورية للحياة .. وثار المزارعون أيضا .. وكان كل يوم يمضى يزيد الموقف سوءا وتحرجا .. ومسيو كوتى مستمر فى مشاوراته اليائسة التى لا تنتهى .

فيلكس جايار :

واخيرا استطاع فيلكس جايار وزير المالية فى حكومة مونورى أن يحصل على وعد من بعض الاحزاب القوية بتأييده والاشتراك فى وزارته .. وكان تولى فيلكس جايار له معنى كبير .. فهو رجل اقتصادى .. والكل يحس بأن مشكلة فرنسا وأزمتها هى فى اقتصادها وماليتها .. ولذلك قدموه .. ووضعوه فى قلب الازمة ليجد لها حلا .

ولكن المشكلة لها وجه آخر ..

فالازمة الاقتصادية ليس سببها عجز فى التدبير الاقتصادى أو خطأ فى السياسة المالية ..

انما سببها هذه البالوعة المفتوحة على فرنسا فى الجزائر التى تستنزف منها كل ما تملك وتدخر ..

ومع ذلك فقد كان اليأس يسيطر على الجميع .. فساقهم الى

التخبط .. فوضعوا على راس الحكومة الفرنسية فى تلك اللحظات الحرجة رجل كجايار يوصف بأنه « خير ممثل لطبقة « المديرين الفنيين » المتخرجين من المدارس « الراقية » وخير ممثل لطبقة موظفي الحكومة الكبار » . وبمعنى آخر رجل اداري دقيق يعرف النظام والحساب .. ولكن قطعا لا يعرف الحرب والسياسة والتكتيك . ومع ذلك فقد رضيت عنه الاوساط الرأسمالية فى فى باريس التى تستفيد من الحرب . ورضى عنه المستوطنون الفرنسيون .. لانهم تأكدوا أنه سيكون عجينة لينة فى أيديهم ينفذ السياسة الحربية التى يريدونها اذا ضمنوا له طريقة التمويل بزيادة الضرائب وتجميد الاجور ورفع الاسعار .. الخ . وكانت هذه هى سياسته الاقتصادية ..

اقذر العهود الاستعمارية :

وكان عهد جايار أشد عهود الاستعمار الفرنسى فى الجزائر بشاعة واجراما وتدميرا .. بسبب بسيط .. أن قواد الجيش الفرنسى فى الجزائر ومن ورائهم المستوطنون كانوا يعرفون أن الرجل الجالس على كرسى باريس رجل لا يفهم فى الحرب ولا فى التكتيك ولا فى شيء .. ولذلك اطلقوا لانفسهم العنان وانتهزوها فرصة ذهبية .. وحلموا بالربع ساعة الاخيرة .. وعلى رأسهم نفس السفاح .. روبير لاكوست الذى كان لا زال يحتفظ بمنصبه فى تلك اللحظة ..

وصلت عمليات الابادة ضد الشعب فى هذا العهد حدا مذهلا افزع أشد الناس اجراما فى العالم .

المنطقة المحرمة :

وكان أبشع مثل على ذلك مذبحة المنطقة المحرمة على طول الحدود التونسية الجزائرية والتى قتل فيها وشرد ثلاثمائة الف جزائرى .. وتمت هذه العملية الاجرامية الرهيبة خلال أسبوع واحد .. وكل ضحاياها من المدنيين العزل ، والقرى الامنة ..

محاولة غزو تونس :

بل أن حلما جنونيا طالما راود اذهان القواد العسكريين وغلاة المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر كان قد أخذ طريقه الى الظهور والتحقق فى عهد جايار هذا ..

ذلك هو حلم المستوطنين فى غزو تونس بالذات ومد نطاق المعركة اليها باعتبار أنها كانت الطريق الذى ينفذ منه الثوار الجزائريين ويأتون من خلاله بالسلاح والمال والرجال .. وقد سمح جايار بالبدء فى تنفيذ هذه الخطة فوقع الهجوم الفرنسى المعروف على ساقية سيدى يوسف احدى قرى تونس القريبة من حدود الجزائر .. وكان هذا الهجوم محاولة لجس النبض واستكشاف الموقف ..

انفجار الموقف ضد فرنسا :

ولكن هذا العمل أدى الى انفجار الموقف ضد فرنسا .. فقد تقدمت تونس بشكوى الى مجلس الامن ..

وثار حلفاء فرنسا عليها لاقدامها على هذا العمل الجنونى ..

وعرضت أمريكا وبريطانيا مسألة الوساطة بين تونس وفرنسا كوسيلة لانقاذ موقف فرنسا أمام مجلس الامن ..

وحاولت حكومة جايار بعد ذلك قلب الاوضاع فى هذه القضية .. وظهرت بمظهر استعمارى مثير .. فرفضت أن يتعرض الوسطاء لبحث قضية الجزائر وقالت ان هذه القضية خارجة عن نطاق البحث وانها مشكلة فرنسية بحتة .. واتهمت تونس بعد ذلك بأنها تسمح للثوار الجزائريين بالمرور عبر أراضيها الى الجزائر واتخاذ أراضيها مراكزا لنشاطهم يغيرون منه على الجيش الفرنسى فى الجزائر .. وطالبت بوضع قوات دولية على الحدود التونسية الجزائرية ..

كل هذا بينما كان مركز فرنسا الاقتصادى يزداد سوءا وانهيارا .. وعلاقتها بحلفائها تتوتر وتسوء .. وخاصة علاقتها بأمريكا .. وشنت الصحافة الفرنسية وقتها حملة مثيرة ضد الولايات المتحدة ..

واتهموها بأنها تسعى لتصفية الاستعمار الفرنسي فى الشمال الافريقى لكى تحل هى محل فرنسا فى مكاسبها واستغلالها . .

انذار ايزنهاور :

وظل الامرعلى هذا الحال . . حتى انفجرالموقف للمرة الثانية . . برسالة الرئيس ايزنهاور التى بعث بها الى فيلكيس جايار فى ١١ ابريل ١٩٥٨ والتى طالبه فيها بوضع حد عاجل للحرب الجزائرية وعلاج المشكلة بطريقة سياسية ترضى تونس والمغرب بالذات لضمان استمرار تعاون هذه المنطقة العربية بالذات مع الغرب ولابعادها عن منطقة الحياد العربى والقومية العربية . .

سقوط جايار :

وكانت هذه الرسالة هى آخر مسمار يدق فى نعش جايار . .

ذلك أن الاحتكاريين الفرنسيين والمستوطنين فى الجزائر شعروا بأن التيار قد أصبح أقوى من جايار بتدخل أمريكا . . ولذلك رأوا الاسراع بتغييره وخلق أزمة فى باريس حتى تتراجع الولايات المتحدة ويغرق خطاب ايزنهاور ومحاولته فى بحر الازمة وجوها الخانق . .

ولذلك أسقطوا جايار . .

الازمة من جديد :

وأوقعوا فرنسا فى ذروة الازمة حتى بات جميع المعلقين السياسيين يصفون الحال فى فرنسا بأنه يشبه تماما الايام القلقة التى سبقت انهيار فرنسا أمام جيوش ألمانيا . .

وكان المتآمرون ينظرون للامور من زاوية أخرى . .

فان هذا الانهيار الذى يهدد فرنسا هو الذى يمهد الطريق أمام الفاشية المطلقة لكى ترتفع وتقبض على زمام الامور بيد من حديد دون أن يستطيع أحد أن يتكلم . .

وكان ديجول فى جيوبهم حينئذاك ..
وهو الورقة التى لعبوا بها بعد ذلك ..

***

وبعـــد ..

لقد كان يوم ٦ فبراير سنة ١٩٥٦ يوم تحول فى تاريخ فرنسا .. وهو اليـــوم الذى يرمز به الى تحول جى موليـــه واستسلامه للمستوطنين الفرنسيين وانسياقه فى سبيل الحرب القـذرة حتى النهاية ..

ولم يحدث تغير بعد ذلك فى السياسة الفرنسية ..

فقد تمكن المستوطنون الفرنسيون من الامر ..

وأصبحوا هم الذين يحكمون فرنسا بواســطة هذه الوزارات الهزيلة التى كانوا يلعبون بها على مسرح السياسة كقطع الشطرنج..

اتجاهات السياسة الفرنسية قبل ديجول :

وسياسة فرنسا ازاء الجزائر فى هذه الفترة كانت تســير فى الاتجاهات التالية :

١ ـ مواجهة الثورة المسلحة للشعب الجـزائرى بكل ما تملك فرنسا من قوة الجيش والسلاح .. والاستعانة عليها بقوى خارجة ووجدت هذا العون جاهزا وممثلا فى أسلحة حلف الاطلنطى والاسلحة الامريكية .. والمعونات الامريكية الغزيرة المستمرة .. والقــروض الالمانية السخية .. وكان هدفهم واحدا .. وهو سحق الثورة بأى ثمن ..

٢ ـ عزل الثوار الجزائريين عن الشعب الجزائرى وذلك بشن حرب الابادة الجماعيـــة ضد المدنيين من الشعب الجزائرى لكى لا يساعد الثوار بل ولكى ينقم على الثورة ويتمنى عودة السلام فى ظل السيطرة الفرنسية التى كانت قائمة قبل الثورة .

٣ ـ الرفض البات القاطع لكل حل يهدف الى الاعتراف للجزائريين

بشيء من [illegible]ون على حساب السيادة الفرنسية ونظرية « الجزائر جزء من فرنسا » وكانوا يعتبرون أن أى مشروع يهدف ــ ولو فى المدى البعيد ــ الى الاعتراف للجزائر بأى جزء من الاستقلال الداخلى ــ هو مشروع مقضى عليه بالموت لانه يتعارض مع نظرية الادماج التام ومبادىء مؤتمر « برازافيل » التى تبناها المستوطنون الفرنسيون والتى تقضى بعدم الاعتراف للمستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار بأى شخصية أو نظام من أنظمة الحكم الذاتى مع استمرار اعتبارها جزءا من الوطن الام ..

وفى هذا الطريق الذى رسمه المستوطنون وأصحاب المصلحة فى استمرار الحرب ، سارت كل الحكومات الفرنسية التى تولت الحكم اثناء الثورة ..

لم تشذ حكومة واحدة منها عن هذا الاتجاه كما رأينا .. ولم تتهاون حكومة واحدة فى تنفيذ هذه السياسة بل كانت تتشدد أكثر فأكثر ..

وحتى الحلول السلمية التى كانوا يلوحون بها بين الحين والاخر كانت كلها حلولا وهمية لا تغير من جوهر الموقف الفرنسي ولا تؤثر قيد أنملة على سير الخطة الاستعمارية الفرنسية ..
بل على العكس .. كانت كلها محاولات تهدف لاستدراج الثوار الجزائريين الى لحظة استسلام وترقب تستطيع فرنسا خلالها القضاء على الثورة قضاء تاما ثم يعود لها الامر أعنف مما كان قبل الثورة ..

وكانت معارضة المستوطنين الظاهرية لهذه المشاريع ما هى الا مناورة وتكتيك متفق عليه .. ولم يكن يهمهم أن تسقط وزارة هذا أو ذاك كثمن لحبك المناورة .. طالما أنهم ضامنون أن الموقف فى يدهم .. وأن أى حكومة ستأتى لن تستطيع السير فى غير الاتجاه الذى رسموه هم ..

نهاية الجمهورية الرابعة :

ولما طالت مأساة الحرب الجزائرية .

وفشلت كل الحكومات التى أتى بها المستوطنون فى أن تحقق

نصرا حاسما على الثورة وتقضى على ذلك الشـــبح الرهيب الذى يقف على أبوابهم ..

ولما ادرك المستوطنون ان استمرار الامور على هذا المنـــوال سيؤدى فى النهاية الى كارثة محققة بالنسبة لهم .

لذلك ...

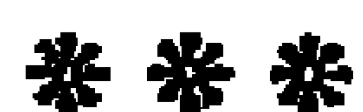
صنعوا انقلاب ١٣ مايو للاطاحة بالجمهورية الرابعـــة ونظام الحكم الديمقراطى ..

وأتوا بديجول ليمسك البـــلد بيد من حديد ويمضى فى طريق الحرب .. حتى النهاية ..

لحساب المستوطنين .. واصحاب المصلحة فى استمرار الحرب .

لحساب المائتى عائلة .. لا لحساب الشعب الفرنسى .

وقد تم لهم ما أرادوا ..



- ٢ -

انقلاب ١٣ مايو

وانهيار الجمهورية الرابعة

« ان الفرنسيين فى الجزائر ظلوا فترة طويلة من الوقت يتوقعون ان تؤدى السياسة المتبعة ازاء المشكلة الجزائرية الى هزيمة سياسية فى مثل خطورة الهزيمة التى حلت بفرنسا في « ديان بيان فو » فى الهند الصينية » .

شارل ديجول
١٩ مايو ١٩٥٨

فى ١٣ مايو ١٩٥٨ وقع انقلاب عسكرى فى الجزائر ضد حكومة باريس ..

قاده الجنرال « ماسو » قائد جنود المظلات الفرنسى فى الجزائر .

وأعلن قائد الانقلاب أن هدفه الوحيد هو أن تشكل فى باريس حكومة فرنسية برئاسة الجنرال شارل ديجول .. لانه هو الرجل الوحيد الذى يستطيع منع ضياع الجزائر ووقوع كارثة « ديان بيان فو » أخرى ..

***

أين كان ديجول :

فأين كان ديجول قبل هذا الانقلاب ..؟!

لقد تولى ديجول سلطة الحكم فى أول وزارة فرنسية بعد تحرير فرنسا بواسطة جيوش الحلفاء فى أغسطس ١٩٤٤ .

ولم يستمر طويلا فى الحكم .. فقد استقال فى يناير ١٩٤٦ لمعارضة بعض وزرائه له .. ومن يومها اعتزل فى قرية « كولومبي » وأقام هناك فى قصر ريفى وسط المزارع والنخيل .. وظل معتزلا السياسة والحياة العامة عاكفا على كتابة مذكراته السياسية .

وكان في السنوات الاخيـــرة يتردد على باريس يوم واحد كل اسبوع ، ويلتقي في مكتبـه بباريس ببعض الشخصيات والزوار ، ويتناقش معهم في مختلف الشئون ..

ولكن حتى هذا النشاط المحدود لم يكن الهدف منه تحقيق اى عمل سياسي يؤثر على سير الامور في فرنسا ..

اذ مرت بفرنسا ازمة الهند الصينية والحرب الطاحنـــة التى اثرت على فرنسا تأثيرا مدمرا في ماليتها ومعنويتها .. ومع ذلك كان ديجول بعيدا اثناء هذه الازمة .. واكتفى بأن يقف موقف المتفرج حتى انتهت الحرب بهزيمة فرنسا الشائنة واستسلامها الذليل بعد معركة ديان بين فو التى أسر فيها أكثر من ستة عشر ألف جنـدى وضابط فرنسي ..

وبقى ديجول في قصره الريفي بعيدا عن السياسة والحياة العامة رغم ذلك ..

وقامت ثورة الجزائر وتسببت في خلق موقف بالغ الخطـورة بالنسبة لفرنسا ووصفه جميع المسئولين والمعلقين بأنه أخطر موقف تواجهه فرنسا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .. وتوالت الازمات على فرنسا أزمة بعد أزمة .. وكلها أزمات طاحنة مدمرة حتى ترتب عنيها انهيار كيان فرنسا الاقتصادى والعسكرى .. وكان من الواضح أن هذه الكوارث كلها نتيجة مباشرة للسـياسة الخرقاء التى تتبعها الحكومات الفرنسية المتعاقبة ازاء الجزائر .

ومع ذلك بقى ديجول بعيدا عن المعركة ومكتفيا بموقف المتفرج .. حين سقطت وزارة جى موليه في مايو ١٩٥٧ واشـتدت الازمة الوزارية وفشل أكثر من واحد في تأليف الوزارة ونيل ثقة الجمعية الوطنية — في هذا الوقت رشحت الاحداث ديجول لتولى الحكم ..

ولكن ديجول لم يتحرك ..

ولم يعد الى باريس ..

ولم يظهر على مسرح الاحداث ..

ولم يبد أي استعداد لتولي المسئولية ..

وحدث نفس الشيء في الازمة اللاحقة ..

الازمة التى اعقبت ســـقوط وزارة بورجيس مونوري في أول اكتوبر سنة ١٩٥٧ ..

لماذا لم يظهر قبل ١٣ مايو :

لماذا ..

لماذا لم يظهر ديجول فى هذه الازمات .. وظهر بعد ذلك .

الرد بسيط وواضح ..

ذلك ان احدا فى فرنسا لم يكن يؤيد عودة هذا الرجل المتعجرف ، المغرور الذى لا يستطيع ان يحكم الا بنظام دكتاتورى فاشى مطلق .

الاحزاب الفرنسية كلها كانت تعارضه ..

والشعب ايضا ممثلا فى طوائفه المختلفة ..

كلهم لم يكن يتمنى على أى حال من الاحوال أن يعود هذا الرجل

والجميـــع كانوا يعتبرونه مجرد ذكرى من ذكريات الماضى .. وانتهى دوره ..

ولكن فئة واحدة كانت تدخره ..

كانت تدخره للساعة الاخيرة ..

تلك هى فئـــة الراسماليين والمستوطنين الفرنسيين اصحاب المصلحة فى حرب الجزائر ..

نقول كانوا يدخرونه ..

لانهم كانوا فى غير حاجة اليه حتى تلك الساعة ..

فالحكومات الفرنسية المتعاقبة كانت تسير وفق أهوائهم كما رأينا .. وتنفذ السياسة التى رسموها هم .. وكانت تسقط وتقوم حسب أهواء هؤلاء السادة الجدد اصحاب الكلمة الاولى والاخيرة ..

ولكن ..

حينما وصلت الازمة الى ذروتها .. وتدخلت عوامل أقوى من حكومات « الشطرنج » وجد المستوطنون ديجول ..

ولكى يستطيعوا فرضه على باريس قاموا بانقلابهم المشهور ..

وفرضوه بثورة ..

رغم أنف الشعب وفرنسا ..

وهنا يجب ان نقف طويلا .. فان وراء هذه الكلمات قصة طويلة .. قصة الخمسة وعشرين يوما التى عاشتها باريس مهددة بشبح ديجول حتى سقطت أمام انقلابه .

قصة الانقلاب :

والقصة تبدأ فى ابريل سنة ١٩٥٨ ..

أثناء حكم « فيلكس جايار » ..

حين وجه الرئيس ايزنهاور خطابه الشديد اللهجة الى جايار بشأن سياسة فرنسا تجاه شمال افريقيا والجزائر خاصة ..

وكانت يومها ثورة فى فرنسا ضد أمريكا .. ظلت ترتفع وتتفاعل نتيجة عوامل محرضة حتى انتهت بسقوط حكومة جايار التى اتهمت يومها بالخضوع للضغط الامريكى ..

والذى يسترعى انتباهنا هنا هو أن « جاك سوستيل » الساعد الايمن لديجول هو الذى قاد هذه الحملة ضد جايار حينذاك ..

وقد قال يومها : « ان كانت حكومتنا فى واشنطن فماذا نصنع نحن هنا » . وشن حملة صحفية على حكومة جايار وعلى أمريكا وبريطانيا لخلق أزمة تنتهى بسقوط الحكومة .. كتب فى صحيفة « البرلمان » الفرنسية يقول :

« ان بريطانيا كانت دائما تعتقد أن فائدتها هى فى طرد فرنسا من مراكزها فى البلدان العربية وذلك بالرغم من أن بريطانيا كلما طردت فرنسا من مركز فشلت فى أن تحل محلها فيه . أما الولايات المتحدة فقد حاولت أن تسير على خطوات بريطانيا فى هذا الطريق ولكن فشلها كان أفدح .

ومشروع ايزنهاور الذى لم يبق من يذكره بلسان . ومع هذا فاننا نشاهد اليوم فوستر دلاس يريد أن يضحى بكل شىء — حتى بفرنسا — فى سبيل العرب ، لذلك لايسعنا الا أن نقاوم هذه الاخطاء لان عليها يتوقف مستقبل فرنسا ومصير الجزائر » .

ونترك تفسير هذا كله لما بعد ..

ونتابع سير الاحداث التى أعقبت سقوط جايار لنرى كيف

انتهت بعودة ديجول .. بناء على خطة مرسومة ..

فقد اعقب سقوط جايار ازمة طاحنة أشـــد من كل الازمات الوزارية التى سبقتها ..

وقيل يومها أن هـــذه الازمة تعتبر من أخطر الازمات التى واجهتها فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية ..

وكان السبب يرجع الى أن كل أساليب السياسة الاستعمارية قد استهلكت أثناء فترات الحكم السابقة التى اشتركت فيها تقريبا جميع الاحزاب الفرنسية ماعدا الحزب الشيوعى ..

فشلت جميعها .. وكانت تنتهى دائما بسقوط الحكومة .. ومن هنا أصبح كل الذين يطلبون لتولى منصب الوزارة يشـفقون على أنفسهم من هذه النهاية المحتملة ..

ولم يكن يوجد أى حزب فى فرنسا له اغلبية فى الجمعية الوطنية تسنده .. كما أنه كان من المستحيل تشكيل وزارة أئتلافيـة على نمط الوزارات الساقطة لان هذا النوع من الوزارات أيضا قد سقط ولم يحقق أى نجاح يذكر ..

واستمرت الازمة ..

وكان من الواضح أن السبب الوحيد للازمة هو حرب الجزائر.

الكل يعلم أن هذه الحرب هى التى تطحن فرنسا ..

ولكن ما العمل ..

لا شيء سوى الاستمرار ..

والكل يعرف أن الاستمرار معناه الاندفاع الى الهاوية ..

ولكن .. لا مفر ..

وكان البحث اذن يدور لايجاد الشخص الذى يقبل أن يقـود فرنســا الى الهاوية التى لا مفر منها ... من الذى يقبل أن يلطخ تاريخه بعار هذا المصير المحتوم ..

كلهم يهربون بالطبع ..

ولا أحد فيهم يستطيع أن يجاهر بأنه سيحول القافلة عن هذا الأتجاه ..

لا أحد يستطيع أن يجاهر بأنه سيوقف الحرب ويضع حداً للمأساة بأى ثمن ..

كان فيهم من يؤمن بهذا الطريق .. كثيرون ..

ولكن ..

كان شرط تولى الحكم دائما هو الاستمرار فى الحرب .

سياسة موضوعة مقدما .. والمطلوب مجرد منفذ لها .

فالجمعية الوطنية كانت سترفض اعطاء الثقة لاى حكومة تعلن أنها ستترك الجزائر وتنقذ فرنسا من الهاوية ..

ووراء الجمعية الوطنيـــة تقف قوة المستعمرين الفرنسيين المستوطنين فى الجزائر .. والراسماليين أصحاب مصانع السلاح والحرب ..

تلك القوة الرهيبة التى تملك ثروات الجزائر والتى تستفيد من استمرار الحرب .. وبالرشوة والارهاب استطاعت هذه القوة أن تخضع وتشترى كل سلطات الحكم فى فرنسا والجزائر .. الجيش والادارة ونواب الجمعية الوطنية والاحزاب والصحافة ..

تلك القوة الرهيبـــة التى حولت جى موليـــه الاشتراكى النظيف الى استعمارى قذر .. والتى أصـــبح يعرفها كل ساسة باريس ويحنون الرأس لها لان كل مقومات السلطة والنفوذ والحكم والسيطرة أصبحت فى يدها .

شبح ديجول يظهر :

مضت أيام الازمة تطيح من طريقها كل الذين حاولوا الخروج منها ..

جورج بيدو .. رينيه بليفان .. رينيه بيير .. ادجار فور .. جين بريشوم .. الخ ..

وفى ٩ مايو صدرت معظم الصحف الفرنسية تنادى بعـــودة ديجول كاقدر شخص على انقاذ فرنسا من الازمة .. وكان هـذا نذيرا بظهور شبح ديجول ..

ولكن جميع الاحزاب السياسية عارضت ذلك وأعلنت انها لن تمنحه الثقة .. ومسيو كوتى رئيس الجمهورية الفرنسية رفض دعوته لهذه المهمة وأعلن يومها أنه يفضل ترك منصبه على التعاون مع شخص كديجول ..

وأحست الاحزاب الفرنسية على اثر ذلك بأن الامر قد ينتهى فعلا بعودة ديجول اذا استمرت الازمة على وضعها هذا ..

ولذلك حاولوا أن يلتقوا ويحلوا الازمة فيما بينهم ..

وزارة فليملان :

واجتمعت كلمتهم عند رجل قيل انه معتدل وانه ذو ميول متحررة نحو الجزائر .. وانهعلى استعداد لمفاوضة الثوارالجزائريين

وايجاد حل سلمي معهم للمشكلة الجزائرية .. وكان هذا الرجل هو « بيير فليملان » رئيس الحزب الجمهورى الشعبى ..

وشكل فليملان الوزارة التى أخرجت فرنسا من أزمة الخمسة والعشرين يوما .. وكان فيها وزراء يميلون الى سياسة الاعتدال تجاه الجزائر .. ولم يدخلها سفاح الجزائر المشهور « روبير لاكوست » ولا وزير الخارجية المتآمر « كرستيان بينو » ..

وما كادت الصحف تصدر صباح يوم ١٢ مايو تعلن نبأ نجاح فليملان فى تشكيل الوزارة الفرنسية حتى أسقط فى يد الاستعماريين

وأصحاب المصلحة فى استمرار الحرب الجزائرية .. أولئك الذين اعتبروا فليملان ضد سياستهم وممثلا لاتجاه لين فيما يتعلق بالجزائر ..

انفجار الموقف :

وانفجر الموقف فورا ..

فاجتاحت باريس مظاهرات صاخبة نظمتها أحزاب اليمين المتطرفة التى تسيطر عليها دوائر المستعمرين والرأسماليين .

وقام المستوطنون فى الجزائر بمظاهرات أشد عنفا وضخامة من مظاهرات باريس .. واعتدى المتظاهرون يومذاك على كاتب

الاستعلامات الامريكي وهتفوا ضـــد أمريكا وفليملان .. ونادوا بسقوط فليملان رجل الاستسلام .. وظلت أصواتهم تزمجر وترعد بأن الجزائر فرنسية .. وتطلب عودة ديجول .. ديجول بالذات .. وهكذا اقترن الهتافان .. الجزائر الفرنسية وديجول .. وكان مفهوم هذا أن ديجول فى نظر المتظاهرين هو الوحيد القـــادر على تحقيق أهدافهم وتنفيذ سياسة « الجزائر فرنسية » ..

ولم يترك المستوطنون الوقت يفوتهم أو الاحداث تجرفهم .

فالواضح أنهم كانوا مستعدين فعلا لمواجهة مثل هذا الموقف اذا حدث ..

وكان ديجول فى جيبهم ..

انقلاب ١٣ مايو :

وفعلا قاموا بانقلاب عسكرى فى الجزائر صباح اليوم التالى .. يوم ١٣ مايو .. وكان على رأس الانقلاب أقذر رجل عرفته الحرب الجزائرية .. ذلك هو الجنرال « جاك ماسو » قائد فرقة جنــود المظلات فى الجزائر وصانع معسكرات التعذيب الدامية ، وحمـلات الابادة والذبح الجماعى للمدنيين العزل .

تحركت قوات الجنرال ماسو صباح ذلك اليوم واستولت على محطة الاذاعة الجزائرية وأعلن ماسو فيها تأليف لجنة أمن الدولة من أحد عشر عضوا من العسكريين وزعمــاء المستوطنين .. ودعا الجنرال ديجول الى تأليف لجنة لامن الدولة فى باريس .. وأذاع البيان التالى : « الى المستوطنين الفرنســـيين بالجزائر .. والى الشعب الفرنسى فى باريس .. لقد كاد مصير فرنسا أن يذهب الى رجل الاستسلام المدعو فليملان .. وازاء هذا رأينا انقاذا للموقف ، وحقنا للدماء التى ستسيل نتيجة الثورة على هذا الوضع ـ رأينا أن نعلن تشكيل لجنة لامن الدولة أتشرف أنا برئاستها ، ويشترك معى فيها أحد عشر عضوا من كبار الضباط وزعماء المستوطنين الفرنسيين .. وقد وافق القائد العام الجنرال سالان على تأييد حركتنا هذه ، وأن يعلن استقلاله بالسلطة فى الجزائر عن حكومة باريس .. وقد قامت قواتنا بالاستيلاء على كل مرافق الحكومة هنا .. وبدأت لجنة أمن الدولة برئاستى فى مباشرة الحكم هنا مستقلة عن حكومة باريس ..

وستتولى هذه السلطة حتى تشـــكل فى باريس لجنة لامن الدولة برئاسة الجنرال شارل ديجول .. فهو الرجل الوحيد الذى يمكنه منع ضياع الجزائر .. وآحباط المناورات الدبلوماسية الشبيهة بتلك التى حدثت ابان معركة ((ديان بين فو)) فى الهنـــد الصينية ..
واذا لم يتم تأليف هذه الحكومة برئاسة ديجول فان لجنة أمن الدولة التى تكونت هنا فى الجزائر ستتولى وحدها الحكم حتى النهاية » .

وفى اليـــوم التالى لحدوث هذا الانقلاب أصدرت الحـــكومة الفرنسية فى باريس قرارا بتحديد اقامة « جاك سوستيل » اليـــد اليمنى لديجول ..

ديجول على مسرح الاحداث :

وهنا ظهر ديجول على مسرح الاحداث ..

ترك قصره الريفى ووصـــل باريس وحجز مكانا له فى أحــد فنادقها ..

وفى اليوم التالى أصدر بيانا للصحف قال فيه « انه تحت تصرف الأمة الفرنســية اذا رأت أنهـــا فى حاجة الى خدماته ، وانه على استعداد لتولى سلطات الجمهورية فى هذا الوقت الذى تزداد فيــه المتاعب بفرنسا » .

وفى اليوم التالى أصدر بيانا للصحف قال فيه « أنه تحت تصرف القـــوى التى تعـــارض عودته اشفاقا على النظام الديمقـــراطى والجمهورية الرابعة ..

فقامت مظاهرات صاخبة تهتف بســقوط ديجول وتعــارض عودته ..

وباتت فرنسا تتوقع حربا أهلية حقيقية لو رجع ديجول ..

وحاولت حكومة فليملان انقاذ الموقف ..

فهدد فليملان المتآمرين وأعلن أنهم خارجون على القانون والنظام وطلب من الجنرال سالان تولى السلطة فى الجزائر باسم الحـــكومة الفرنسية ..

ووجه مسيو كوتى رئيس الجمهورية الفرنسية نداء حارا الى أصحاب الانقلاب ، دعاهم فيه ـ بصفته رئيسا للجمهورية ورئيسا أعلى للجيش ـ أن يعودوا الى النظام ويوقفوا حركة التمرد هذه ..

ولكن حركة ماسو والمستوطنين استمرت رغم ذلك ..

وأعلن جنرال ماسو أن عدم دعوة ديجول لتولى الحكم سيضطر الجيش الفرنسى فى الجزائر الى غزو باريس ذاتها واسقاط الجمهورية الرابعة ليتولى ديجول السلطة بالقوة ..

وزاد الموقف خطورة أكثر فأكثر بعد أن أعلن الجيش الفرنسى فى جزيرة كورسيكا تأييده لانقلاب الجزائر وتشكيل لجنة لامن الدولة فى كورسيكا أيضا ..

وبعد أن أعلن قائد الاسطول الفرنسى فى البحر الابيض المتوسط تأييده للانقلاب ضد حكومة فليملان ومن أجل عودة ديجول .

وبعد أن أعلن كبار ضباط الجيش الفرنسى فى فرنسا ذاتها أنهم يؤيدون الانقلاب ..

وباتت باريس ليلة .. كان المتوقع فيها أن تغير الطائرات الفرنسية المؤيدة للإنقلاب على مقر الحكومة لضربها بالقنابل ..

ديجول يؤيد الانقلاب :

وفى هذه الظروف كلها خرج ديجول للمرة الثانية ليزيد ضغط الأحداث على حكومة باريس ويكمل شبكة الارهاب العسكرى الذى بدأ فى الجزائر بتهديد ارهابى سياسى .. فقد عقد مؤتمرا صحفيا فى ١٩ مايو أعلن فيه بصراحة هذه المرة أنه يؤيد حركة الانقلاب التى قام بها المستوطنون والجيش فى الجزائر .. وردد نفس كلمات جنرال ماسو .. قال : « ان الفرنسيين فى الجزائر ظلوا فترة من الوقت يتوقعون أن تؤدى السياسة المتبعة ازاء المشكلة الجزائرية الى هزيمة سياسية فى مثل خطورة الهزيمة التى حلت بفرنسا فى «ديان بين فو» فى الهند الصينية . ثم تساءل : « كيف يستطيعون أن يخلدوا الى السكون ولا يثوروا .. انهم يقدمون لنا مشهدا رائعا من مشاهد

الاخوة يمكن ان يتخذ أساسا سياسيا وأدبيا للاتفاق معهم .. ثم ختم بيانه بقوله بنبرة حماسية « انى أريد الشجاعة والقوة لتلك الفئة التى تريد اعادة بناء الوحدة القومية على هذا الشاطىء أو على الشاطىء الآخر .. ».

معالم المؤامرة :

وتحددت بذلك معالم المؤامرة ..

ان ديجول يلتقى بصراحة تامة مع قواد الانقلاب من المستوطنين ورجال الجيش فى الجزائر .. ويعلن بلا مواربة تأييده التام لهم .. رغم ما أعلنته الحكومة الشرعية من أنهم عصاة وخارجون على القانون .. ورغم ما اعلنه رئيس الجمهورية من أنه غير راض عن هذه الحركة ويدعوهم للعودة الى النظام والاخلاد للطاعة ..

فديجول اذن يتحدى السلطة الشرعية فى فرنسا ..

ويخرج عليها .. ورغم ذلك لايستحي ان يعلن انه لن يقبل تولى السلطة الا اذا دعاه رئيس الجمهورية وأيدته الجمعية الوطنية فقد كان هذا القول ينطوى على منتهى التحدى للسلطة الشرعية فى البلاد رغم ان ظاهره يعنى احترام هذه السلطة .. وهو أشبه بمن يمسك بخناق رجل ويقول له أنا لن اسرقك بالقوة .. ولكننى أدعوك لان تعطيني ما معك برضاك ومحض ارادتك . . أين هى الارادة هنا .. ففى الظروف التى خرج فيها ديجول وقال هذا الكلام ..

وهل كانت الجمعية الوطنية تستطيع ان تزاول سلطاتها بحرية

وهل كانت الجمعية الوطنية تستطيع ان تزاول سلطانها بحرية وارادة ..

أن ديجول الذى يتظاهر باحترام هذه السلطات الشرعية هو ذاته الذى يؤيد حركة العصيان والانقلاب والتمرد ..

وقد وصل من امر هذه الحركة ان هددت باريس ذاتها .. وقد وقفت جميع السلطات الشرعية فى البلاد عاجزة تماما عن الحركة والتصرف .. لان قوات الجيش أيضا تخلت عنها .. وأصبحت خيوط المؤامرة متشابكة ... يمسك طرفها الاول جاك

ماسو فى الجزائر .. ويمسك طرفها الاخير جنرال ديجول فى فرنسا وبين الطرفين تختنق السلطة الشرعية .. ومع ذلك يقول ديجول أنه يحترم هذه السلطة وانه لن يتولى الحكم الا اذا دعته .

الصحف العالمية تعترف بمؤامرة ديجول :

كان شيئا غريبا هذا الذى يحدث ويؤيده ديجول ..

ممثلو الحكومة الفرنسية فى الجزائر هم الذين يملون على فرنسا سياستها وحكامها ونظامها .. وقد كتبت صحيفة « الايكونومست » البريطانية تشير الى هذا الوضع قائلة :

« ولا شك ان فرض حكومة معينة من حكام الجزائر على باريس عمل خطير ، بغض النظر عما اذا كان ديجول هو الذى سيراس هذه الحكومة أم لا يراسها .. »

ثم تقول الصحيفة عن ديجول الذى يقف وراء هـذه الحركة الخطيرة : « انه رجل غامض من الناحية السياسية .. وان اسمه اشبه بغلاف غير شفاف يخفى بين طياته بضاعة غامضة مجهولة »

وتستطرد قائلة :

ولقد اشترك ديجول أخيرا فى « المزاد العلنى » الجارى فى باريس على « السلطة » ، وبالرغم من ذلك فانه لم يبين بوضـوح كيف سيعالج الموقف ، وكل ما قاله هو انه يعـد نفسه « حكما » بين المتنازعين فى فرنسا نفسها من ناحية ، وبين المتنازعين فى شمال افريقيا مع حكومة باريس من ناحية اخرى . وليس من المألوف ان يعلن « الحكم » قراراته مقدما قبل أن يتولى سلطة « الحـكم » رسميا .

ولكن ديجول فى الحقيقة ليس « حكما » ، لانه رشح نفسه لتولى السلطة ، ولانه هاجم النظام البرلمانى ، واعرب عن « ادراكه » لموقف ضباط الجزائر المنشقين على باريس ، وهم الضباط الذين يعدونه « رجلهم » ويهتفون بحياته .

فاذا كانت لديجول بعض المزايا التى كانت تدعو فيما مضى الى

التفكير فيه ، لتكليفه تولى السلطة لحل الازمة ، فهل الظروف الحالية تسمح بالاعتماد عليه للقيام بهذه المهمة ، اذا مااخفقت الجهود المبذولة لانقاذ الجمهورية الفرنسية ؟

يغلب على الظن ان تكليفه هذه المهمة ، فى الظروف الحالية ، يعد تكليف الشخص غير الملائم للقيام بعمل فى ظروف غير ملائمة بدليل ان سوستيل ، وهو من اشد انصار ديجول ، يزعم ان انقلاب الجزائر ليس الا نهضة شعبية تمثل « الديمقراطية الصحيحة » .

وقالت صحيفة « ديلى تلجراف » البريطانية تعليقا على موقف ديجول هذا ايضا ما يلى : « يبدو أن الجنرال ديجول بعد ان خرج عن صمته الذى التزمه عدة أعوام واعلن عن استعداده للعودة الى الحكم قد فقد تأييد الاف ممن كانوا ينادون بعودته الى الحكم » ان اللغز الذى يحيط بهذه الشخصية التاريخية قد تضخم وازداد تعقيدا بصورة لم تكن معهودة منذ ان خرج ديجـــول من المسرح السياسى منذ ستة أعوام مضت .

ولقد كان ديجول خلال الشهر الماضى امل الكثير من ذوى النفوذ فى فرنسا الذين ذهبوا الى الاعتقاد بأنه هو الشخص الوحيد الـذى يمكنه انقاذ فرنسا من كارثة محققة فى الجزائر .. »

وتستطرد الصحيفة فتقول :

ولقد كان ديجول من الانصار المتحمسين لشابلن دلماس وزير الدفاع فى حكومة جايار الذى كان مازال فى الحكم حتى يوم الاربعاء الماضى .. وقد كان مسيو ليون دلبيك وهو احد أعضاء لجنـــة الجزائر المنشقة من بين المشتغلين من شابلن دلماس فى وزارة الدفاع الفرنسية وكان يقوم بعمل ضابط الاتصال بين باريس والجزائر أما الجنرال ماسو رئيس لجنة الجزائر فقد كان من الاعوان المتحمسين للجنرال ديجول سنة ١٩٤٠ .

وبعد أن أوضحت الجريدة صلة ذيجول هذه بمدبرى الانقلاب قالت مايلى : « من البديهى انه بمجرد أن ينضم الجيش فى الجزائر خاصة وان كثيرا من مناصبه الكبرى يشغلها اتباع ديجول ــ الى الثورة ضد باريس ، فان ديجول لن يقدم على استنكارها .. ولكن الجدل كثير حول هذه المسألة .

هل كان ديجول يعلم بان مؤامرة من هذا النوع كانت تدبر .. هل كان هدف المؤامرة هو فحسب الضغط على باريس لكى ترفض الجمعية الوطنية التصديق على حكومة فليملان والتصويت الى جانب أشخاص قد التزموا بالمضى فى الحرب دون التفكير اطلاقا فى التفاوض مع الجزائريين .. هل فشلت هذه الخطة فى تحقيق غرضها عندما حصل ديجول على الاغلبية وبرهن فى اصرار انه ينوى تولى زمام الامور ؟ ..

ولم تجب الجريدة على هذه الاسئلة ..

ولكن كل المقدمات التى ساقتها كانت تكفى للاجابة .. ان ديجول كان متامرا مع المتامرين ..

وكتبت « الديلى ميل » البريطانية تقول : « يجب الا نغمض أعيننا عن المخاطرة التى تنطوى عليها الحالة الحاضرة ، وهى أنه ربما يجد ديجول نفسه أسيرا فى قبضة ضباط الجزائر الذين انشقوا على حكومة باريس ، أو فى قبضة العناصر اليمينية المتطرفة التى عملت على توليه السلطة مرة أخرى .. ومهما يكن من امر فان المسألة رهن بقوة شخصية ديجول ومقــــدرته على التصرف .. ولم يكن يغيب عن الجريدة بالطبع ان ديجول لن يجد نفسه أسيرا فى قبضة ضباط الجزائر .. أو أن الامر متوقف على قوة شخصيته .. ذلك أن ديجول كان فعلا ـ وفى هذا الوقت بالذات ـ عميلا لهؤلاءالضباط ومن هم وراء حركتهم .. انه يعرف دوره هذا مقدما .

الخضوع ودعوة ديجول للحكم :

لم يكن الموقف اذن يحتمل غير حل واحـد امام الذين يريدون تجنيب فرنسا كارثة الحرب الاهلية ..

هذا الحل هـــــو الخضوع والاستسلام لمطالب المستوطنين الفرنسيين ولجنة الجنرال ماسو .

ووجدنا الذين كانوا يعارضون عودة ديجول أشد المعارضـــة يتراجعون .. ويستسلمون .. ويوافقون على تولى ديجول ..

واضطر مسيو كوتى رئيس الجمهورية الفرنسية الذى كان يهدد منذ أسبوعين بأنه يفضل ترك منصبه على التعاون مـــع شخص كديجول .. رأيناه يدعو ديجول لتأليف الوزارة .. ويواجه الجمعية الوطنية بعد ذلك ويقول للنواب بصوت متهدج كله احساس بالخطر وخضــــوع لتهديده .. « ان فرنسا فى طـــريقها الى التفكك ، والفرنسيون على وشك ان يحارب بعضهم بعضا . ولذلك اتجهت فى ساعة الخطر هذه الى ابرز رجل فى فرنسا .. الى الرجل الذى قاد فرنسا الى النصر فى أحلك ساعات تاريخها ..

وكان كوتى يمالىء ديجول بهذا الكلام .. لان ديجول كان يجوز وصفه بهذا الوصف لو انه كان محايدا وبعيدا عن مجرى الاحداث التى صنعت هذا الخطر الذى يخشاه مسيو كوتى .. ولكن ديجول كان هو الذى صنع الخطر بالتآمر مع آخرين ..

وكان موقف مسيو كوتى فى حقيقته هو الاستسلام امام مؤامرة ديجول .. وليس دعوة له لانقاذ فرنسا من الخطر .

وكان هذا هو موقف الاحزاب الفرنسية ما عدا احزاب اليسار فكلها استسلمت .. وأعلن قادتها موافقتهم على تولى ديجـــول سلطات الحكم .

ديجول يستولى على السلطة :

وتم لديجول الاستيلاء على السلطة فى اول يونيو ١٩٥٨ رغم معارضة ٢٢٤ نائبا من نواب الجمعية الوطنية .. اذ لم يؤيده سوى ٣٢٩ نائبا .

ولا يفوتنا ان نســجل هنا انه فى اليـــوم الذى دعا رئيس الجمهورية ديجول لتولى الحكم . قامت فى باريس مظاهرات ضخمة جدا اشترك فيها ٢٥٠ الف فرنسى هتفوا ضد عودة ديجول واشترك فى هذه المظاهرة ثلاثة من رؤساء الوزارات الفرنسية السابقين هم منديس فرانس وادوار دلادييه وبول رامادييه .

وكانت هذه المظاهرة هى آخر اعلان يقوم به الشعب الفرنسى تعبيرا عن سخطه على ديجول .. ومحاولة يائسة اخيرة لوقف هذا التيار الفاشستى الذى يتهدد فرنسا والجمهورية الرابعة .

ولم يكد يستولى ديجول على الحكم حتى استصدر قرارا من الجمعية الوطنية تحت تهديده بالاستقالة بمنحه سلطات مطلقة لمدة ستة شهور ، مع تخويله حق تعديل الدستور الفرنسى واجـــراء استفتاء شعبى على هذا التعديل .. وبذلك انتهت الجمعية الوطنية الفرنسية للجمهورية الرابعة .. واستجمع ديجول كل ســـلطات الحكم فى يده .

ديجول صنيعة المستوطنين :

وكشفت الصحافة الفرنسية والاجنبية بعد ذلك عن حقيقة خطيرة اتضحت من خلال الاحداث التى انتهت بديجول الى الحكم هذه الحقيقة هى ان ديجول كان صنيعة المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر واصحاب المصلحة فى استمرار الحرب .

فقالت صحيفة « لومانيتيه » الفرنسية مايلى : « ارتفع ديجول الى الحكم بمؤامرة كان هو من بين رجالها .. ويطل من وراء حكم ديجول وجه الفاشستية .. ان المشاغبات العسكرية الاستعمارية التى يرتكز عليها ديجول ستدفع فرنسا بمساعدة لجنـــة الامن الجزائرية الى الاستعداد والعنف وهما من صفات الفاشستية .

ان هذه الحكومة الدكتاتورية فرضت على فرنسا فرضا بتمرد القوات الفرنسية فى عاصمة الجزائر .

وقالت صحيفة « أوبزرفر » البريطانيـــة مايلى : « اقترعت الجمعية الوطنية الفرنسية فى أوائل هذا الشهر على تولية الجنرال ديجول رياسة الوزارة . ولكن لايمكن لعملية الاقتراع هذه مهما بدت قانونية فى الشكل ان تخفى الحقيقة ، وهى انه كان يخيم على الجمعية وقت الاقتراع عنصر التهديد باستخدام القوة لاحداث انقلاب فى الحكم بجعل ديجول يتولى رياسة الحكومة الفرنسية .

وبديهى انه ما كان يمكن لكل هذا أن يحدث لو ان رجال الجيش الفرنسى فى الجزائر لم يعلنوا مقدما ما ستكون عليـــه النتيجة اذا رفضت الاحزاب السياسية الفرنسية ان يتولى ديجول رياســـة الوزارة ..

واستطردت الجريدة تقول : **((وهكذا يتضح أن ديجول لم يقول رياسة الوزارة بتكليف من الشعب الفرنسي .. بل بالعكس فرض الجنرال ديجول على فرنسا فرضا .. فرضه العسكريون في الجزائر وأعلنوا تأييدهم له ، وقد قبل هو هذا التأييد .** وان كان قد صرح بانه لم يطلبه منهم ، فوضع ديجول في فرنسا الان يشبه وضع الديكتاتوريين الذين كانت الفرق العسكرية المتمردة في اسبانيا وافريقيا تفرضهم على اوربا في عهد الرومان . »

وقالت مجلة « ايكونومست » البريطانية تقول : « الفضل للجيش الفرنسي في تولي ديجول الحكم في فرنسا . ان الضباط الفرنسيين المتمردين بالجزائر هم الذين مهدوا الطريق لكي يتولى ديجول الحكم وسجلت الجريدة حقيقة خطيرة بقولها بعد ذلك : **((ان الحركة التي قام بها الضباط المتمردون بالجزائر يوم ١٣ مايو الماضي كانت تستند الى المستوطنين الفرنسيين .))**

وهذه هي الحقيقة في كلمات ..

ديجول جاء على أكتاف المستوطنين الفرنسيين وغلاة الاستعماريين وأصحاب المصالح الحقيقية في استمرار الحرب الجزائرية .

ولم يأت بناء على رغبة أو تكليف من الشعب الفرنسي .. لان الشعب الفرنسي كان دائما هو المغلوب على امره طوال السنين التي أعقبت ثورة الجزائر وكان المستوطنون هم أصحاب الرأى والكلمة والتوجيه .

وصدقت اليومانيتيه حين عبرت عن هذه المأساة بقولها :

« ان هذه الحكومة الديكتاتورية فرضت على فرنسا فرضا بتمرد القوات الفرنسية في عاصمة الجزائر . »

هذه هي قصة انهيار الجمهورية الرابعة في فرنسا ..

وعودة ديجول الى الحكم ..

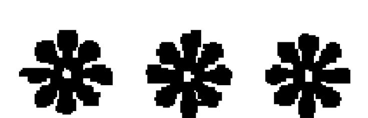
ولكن بقى سؤال مهم .. يراود الذين يقرأون هذه القصة ..

لماذا وقع هذا الانقلاب كله .

وما هى أهدافه ..

ولماذا أختير ديجول بالذات ليكون على رأس هـــــذا التطور الفاشستى الذى يصيب فرنسا .. ؟..

هذا مانوضحه فى الفصل التالى .



(٣)

ديجول الاستعمارى

« ان النتائج التى وصلت اليها فرنسا فى النهـــوض، بمستعمراتها توصد الباب امام كل حق فى الحكم الذاتى، او اى احتمال للخـــروج على الكتلة الفرنسية ، ويجب الابتعاد عن انشاء حكومات مستقلة فى المستعمرات حتى فى المستقبل البعيد . »

قرار ديجول فى مؤتمر
برازافيل بعد الحرب
١٩٤٤ »

لماذا اختاروا ديجول :

لماذا اختار المستوطنون ديجول بالذات ليتولى الحكم فى هـذه الفترة الحرجة التى كانت تمر بفرنسا يومذاك ؟!

هذا سؤال مهم ..

ولكن قبل الاجابة عليه يجب أن نوضح حقيقة الدور الذى من اجله اختير ديجول .. لكى نرى اذا كانت طبيعة هذا الدور تتفق مع شخصية ديجول وآراءه وتاريخه أم تختلف ..

ولعل الذى ييسر مهمتنا فى تحديد هذا الدور هو ان المستوطنين الفرنسيين بالجزائر وعملائهم من قواد الجيش الفرنسى هناك هم الذين صنعوا انقلاب ١٣ مايو تمهيداً لعودة ديجول ..

وما دام قد تحدد اشخاص الذين قاموا بالانقلاب فقد تحددت اذن طبيعة الهدف الكامن وراءه .

المستوطنون الفرنسيون ...

ماذا يريدون ؟ ..

أهداف المستوطنين :

ان احدا فى العالم لم يعد يجهل أهداف هذه الفئة الاستعمارية الجشعة التى تمكنت من رقاب شعب واصبحت تريد ان يظل لها هذا التمكن الى الابد .. أن يبقى الشعب الجزائرى الى الابد مختنوقا

بين قبضة ايديهم . . وان تبقى الجزائر الى الابد فرنسية بمقدار ما يتفق هذا مع مصالحهم واهدافهم الاستغلالية . .

ابقاء الجزائر فرنسية :

هذا هو الهدف الرئيسي من انقلاب ۳ ١مايو . .

وقد تردد هذا المعنى على لسان المتظاهرين الفرنسيين فى الجزائر ايام حركة الانقلاب . فقد كانوا يرددون هتافا واحدا دائما هو :

« الجزائر فرنسية » . . ثم يطالبون بعودة ديجول . .

وكانت الشعارات التى تملأ حوائط الجزائر وارضها فى هذه الأيام كلها تردد هذا المعنى . . « الجزائر فرنسية » . .

وقد قالها الجنرال « ماسو » زعيم الانقلاب المأجور . . اذ قال فى بيانه الاول الذى اذاعه يوم الانقلاب : « ان ديجول هو الرجل الوحيد **الذى يمكنه منع ضياع الجزائر** » وكان هذا هو الهدف « منع ضياع الجزائر »

وقد خطب جاك سوستيل المدبر السياسى للانقلاب وصنيعة المستوطنين القدم وتابع ديجول الاول . . قال هذا الرجل فى خطبته بوهران ايام الانقلاب ما يلى بالنص : « ان الجيش قرر ان تبقى الجزائر فرنسية ، وانه تبرأ من حكومات باريس التى كادت تتخلى عن الجزائر »

وليس هذا فحسب . .

فقد كان هذا الهدف واضحا ايضا امام الرأى العام العالمى . .

كتبت صحيفة « الديلى تلغراف » البريطانية وقتها تقول بالنص :

« عندما ينادى جنرال ماسو بتأليف حكومة امن عام فى باريس فانه لايعنى قيام حكومة تكون لديها المقدرة الكافية على حل المشكلة الجزائرية . . وذلك لان تصلب المتطرفين الفرنسيين الذين قد اختار هو أن يكون متحدثا باسمهم يجعل الوصول الى أى حل عملى أمرا عسيرا ، **والحقيقة التى لامراء فيها هى ان هؤلاء المتطرفين يخشون من قيام حكومة فرنسية يكون لديها الاستعداد والمقدرة على التفاوض بشأن الحلول المرضية ، وكل مايريده الجنرال ماسو هو قيام حكومة فى باريس ترفض اتباع أية سياسة اخرى غير سياسة القوة بل والمزيد من القوة ، وذلك على الرغم من الحقيقة الواقعة وهى ان مثل هذه السياسة قد اختبرت صلاحيتها من قبل وثبت فشلها .** »

وقد رأى المستوطنون فى ديجول الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يحقق لهم هذا الهدف . .

ان يمنع ضياع الجزائر . . وبمعنى اخر ان يبقى قبضة فرنسا الاستعمارية على الجزائر لحساب المستوطنين الفرنسيين والمرتشين الذين يعيشون على مايغدقه عليهم المستوطنون من عطايا سخية تغرقهم الى اذقانهم من أمثال جنرال ماسو . .

موقف ديجول :

فماذا كان موقف ديجول ؟ !!

لقد قبل هذا الدور المرسوم له . . قبله بكل اخلاص واحترام وتقدير . . واعلن ردا على دعوة المستوطنين له ــ أعلن يقول : « **ان الفرنسيين فى الجزائر** ظلوا فترة طويلة من الوقت يتوقعون ان تؤدى السياسة المتبعة ازاء المشكلة الجزائرية الى هزيمة سياسية فى مثل خطورة الهزيمة التى حلت بفرنسا فى « ديان بيان فو » فى الهند الصينية . . ثم تساءل . . كيف يستطيعون أن يخلدوا الى السكينة ولا يثوروا ؟ . . »

وكل كلمة فى خطبة ديجول هذه كانت تعبر عن معنى كبير يكشف عن موقفه واتجاهه . .

فهو اولا اعترف بان « **الفرنسيين فى الجزائر** » وحدهم هم الذين يخشون ان تؤدى السياسة الفرنسية الى هزيمة فى الجزائر لم يقل مثلا « أن الشعب الفرنسى » . . وكان ديجول أمينا فى تعبيره لان الشعب الفرنسى كان يتوق الى نهاية هذه الحرب الاستعمارية بأى شكل حتى ولو كانت على حساب المستوطنين واصحاب المصلحة ولم يعبر الشعب الفرنسى فى أى يوم من الايام ــ طوال الحرب الجزائرية ــ عن رغبته فى التمسك بالجزائر رغم ما تجره عليه حربها من خراب ومصائب . .

ولكن المستوطنين الفرنسيين . . أو « الفرنسيين فى الجزائر حسب تعبير ديجول هم الذين تذمروا . .

. . فديجول هنا يلتقى لا مع الشعب الفرنسى . . ولكن مع « الفرنسيين فى الجزائر . . »

والهدف الذى يلتقى فيه معهم هو هدف واحد .

هو ان يمنع « وقوع هزيمة سياسية فى مثل خطورة الهزيمة التى حلت بفرنسا فى ديان بيان فو » فى الهند الصينية » ..

او بمعنى اخر .. ان يمنع ضياع الجزائر كما ضاعت الهند الصينية ..

.. هذا كان رد ديجول ..

وقد زاد عليه تأييده الصريح لحركة التمرد التى قاموا بها فى قوله « كيف يستطيعون ان يخلدوا الى السكينة ولا يثوروا ؟ »

ولم يكن غريبا ان يكون هذا هو موقف ديجول .

ولم يكن غريبا ان يعلنه بهذه الصراحة المكشوفة ..

ذلك أن دور ديجول فى الانقلاب كان قد اتضح وانكشف تماما خصوصا بعد هرب « جاك سوستيل » الى الجزائر والتقائه بزعماء الانقلاب وتصريحاته هناك .

فقد هرب جاك سوستيل يوم ١٧ مايو ..

واعلن ديجول رأيه هذا يوم ١٩ مايو ..

وكان هذا الترتيب الزمنى للحوادث .. دليلا قاطعا على ان ديجول قد رتب كل شىء مع جاك سوستيل .. وان سوستيل نفسه كان قد رتب كل شىء مع المستوطنين قبل قيام الانقلاب .

لان سوستيل كان صديقا للطرفين ..

للمستوطنين .. وديجول ..

جاك سوستيل :

فقد تولى « جاك سوستيل » منصب المقيم العام للجزائر بعد قيام الثورة الجزائرية .. وهناك التقى بزعماء المستوطنين الذين كان يهمهم دائما أن يشتروا كل مقيم عام جديد ترسله اليهم حكومة باريس بل وكانوا يرفضون المقيم الذى لايتفق مع ميولهم او الذى لايخضع لهم .. كما حدث عندما اجبروا « جى موليه » على سحب تعيين « الجنرال كاترو » وتعيين « روبير لاكوست » بدلا منه .

وهكذا .. استطاع المستوطنون ان يشتروا جاك سوستيل ويخضعوه لهم أثناء فترة توليه منصب المقيم العام فى الجزائر ..

واستطاعوا ان يصنعوا منه عميلا مهما لهم .. وامكنهم الاعتماد عليه حتى بعد ترك منصبه .. عن طريق « المكتب المركزي للاستعلامات والعمل » الذى كان يعمل تحت رئاسة سوستيل لحساب الاستعمار الفرنسي فيما وراء البحار وخاصة الجزائر .

وسوستيل بجانب هذا من اشد انصار الجنرال ديجول واتباعه المتحمسين .. وكان يلقى عطفا وتكريما من ديجول .

ولذلك لم يكن غريبا ان يلعب جاك سوستيل هذا الدور . فلم يكن احدا غيره يستطيع القيام به .

وهذا ما دعى حكومة « فليملان » على اثر انقلاب ١٣ مايو ان تصدر امرا باعتقال « جاك سوستيل » فى منزله وتضعه تحت رقابة البوليس .

ولكن سوستيل استطاع ان يهرب رغم ذلك .

بل وكان لابد أن يهرب حتى تتم حلقات المؤامرة التى دبرت بين الجزائر وفرنسا وكان ديجول طرفها الاخر فى باريس وسوستيل هو حبل الصلة .

نقول ان موقف ديجول هذا لم يكن غريبا بعد ان تكشف دوره الحقيقى فى الانقلاب والمؤامرة ..

بل لعل الذين اختاروه كانوا قد فرضوا عليه أن يعلن رأيه الصريح هذا — وفى وقت الازمة بالذات — حتى يربطوه امام الراى العام بهذا الرأى الذى اعلنه ..

ونعود الى السؤال الاول ..
لماذا اختاروا ديجول بالذات ليلعب هذا الدور ..

اسباب كثيرة ..

الطموح والعظمة :

لقد بقى ديجول بعيدا عن الحكم فترة طويلة ، وصحيح انه هو الذى تخلى عنه فى عام ١٩٤٦ — ولكن هذا لايعنى انه كان يتمنى العودة اليه اذا اتاحت له الظروف ذلك .. لان الفترة الطويلة التى امضاها بعيدا عن الأضواء قد جعلته فى حكم المنسيين ورجال

الذكريات .. وهذا يتعارض مع شخصيته الطموحة وحبه السيطرة والعظمة .

فوجد المستوطنون فيه ضالتهم المنشودة .. ووجـدوا لديه الاستعداد التام لكى يقبل شروطهم فى سبيل ان يعود الى الحكم ويمسك بزمام الامور ويصبح مرة اخرى هو فرنسا ـ وفرنسا هوـ كما يقول دائما ويتصور ..

على ان هذا لم يكن هو السبب الوحيد بلا شك الذى جعل المستوطنين يلجأون الى ديجول .. لان عشرات الزعماء غيره كانوا على استعداد ان يبيعوا انفسهم للمستوطنين فى سبيل تولى الحكم .. بل لقد كان كل حكام فرنسا السابقين من هذا النوع وعلى رأسهم زعيم الاشتراكيين « جى موليه » الذى جاء الحكم بناء على ثقة من الشعب الفرنسى لا بناء على مناورة من المستوطنين .. ولكنه خان هذه الثقة وتنكر للشعب وباع نفسه بعد ذلك للمستوطنين ومشى ذليلا فى موكبهم حتى سقط .. او حتى أسقطوه ..

نقول لم يكن خضوع ديجول ورغبته فى العودة للحكم همـا السبب الوحيد لاختيار المستوطنين له .. لان غيره كثير كان يقبل هذه المهمة .. وكان أمره لن يكلف المستوطنين كل هذه التضحيات والانقلابات لفرضه على الشعب الفرنسى ..

ولكن ...

كان هناك عامل مهم آخر ..

ديكتاتورية ديجول :

ذلك العامل هو نظام الحكم فى فرنسا ذاته .. الجمهورية الرابعة والاسس التى تقوم عليها ..

فقد رأى المستوطنون ان بقاء هـذا النظام يكلفهم كثيرا لكى يستطيعون السيطرة على الحكم فى ظله .. ثم لاتكون النتيجـة مضمونة مائة فى المائة ..

فهم مضطرون ان يرشوا الاحزاب السياسية الضخمة ... وأعضاء الجمعية الوطنية .. ورجال الصحافة والكتاب .. فضـلا

عن الوزراء ورجال الحكومة الكبار .. بل والتنظيمات الشخصية التى لها نفوذ غير الاحزاب كاتحادات العمال واتحادات الطلبة .. الخ ..

وقد استمروا على اتباع هذه الطريقة طـــوال السنوات التى سبقت الانقلاب .

ولكنهم ـ رغم ذلك ـ رأوا ان توزع السلطة فى يد اكثر من هيئة .. وكثرة الاراء والاتجاهات كان دائما يؤدى الى افلات الزمام من يدهم رغم كثرة مايبذلونه من رشاوى وتضحيات .. فضـــلا عن ان هذه الاتجاهات المتضاربة كانت دائما تضعف السلطة فى يد الجميع .. وتجعل الحكومة احيانا عاجزة عن تنفيـــذ ماتريد .. وخافوا ان يأتى يوم ينهار فيه هذا النظام جميعـــــه .. ثم تنتقل السلطة الى الاحزاب اليسارية المتطرفة التى لاتخضع لهم بل تحاربهم وتكون كارثتهم الكبرى محققة حينذاك .

ورأوا ان ديجول هو الشخص الوحيد الذى يستطيع ان يقضى على هذا التضارب كله .. ويجمع السلطة فى يده وحده ويسير بها فى الاتجاه الذى يريدونه دون معارضة او مشاورة .. بل وان يهدم الجمهورية الرابعة ليقيم بدلها جمهورية عسكرية يكون هو زعيمها الاول .

سمعه ديجول :

وسبب ثالث جعلهم يلجأون الى ديجول .. هو ان الشـــعب الفرنسى ذاته قد ضاق ذرعا بالحرب الجزائرية واصبح يحس انها هى سبب خرابه وكوارثه .. وبدأت الهمسات تتحول الى صيحات مطالبة بوقف هذه الحرب وتصفية استعمار فرنسا للجزائر من اجل الابقاء على البقية الباقية من الكيان الفرنسى .

ورأى المستوطنون فى ديجول الرجل الوحيـــد الذى يستطيع ان يخدع الشعب الفرنسى ويضلله ويقوده فى نفس الطريق الذى يريده المستوطنون تحت تأثير المخدر الذى يتمثل فى شخص دىجول الذى سيظهر بمظهر البطل المنقذ ..

ديجول الاستعماري :

على ان اهم هذه الاسباب كلها واخطرها كان هو شخصية ديجول وآراءه الاستعمارية التوسعية ..

وهذا ما ينبغى التركيز عليه وابرازه ..

فالمستوطنون يعرفون ديجول ..

ويعرفون انه استعمارى من الطراز الاول .. وانه ليس الشخص الذى يستجيب لامانى الشعوب او يستسلم لثورات الحرية بسهولة ..

وكان هذا هو الضمان الاكبر لهم لكى ينادوا به .

اما ان ديجول استعمارى فهذا ما تؤيده الحقائق التالية :

أحلام العظمة والامبراطورية :

١ ــ من المعروف ان ديجول يحلم بالامبراطورية الفرنسية على نحو ماكان حكام القرن الماضى يحلمون .. على طريقة نابليون وتشرشل وهتلر .. فهو لازال يعيش فى العهد الذى كانت الدول تبنى مجدها على أساس التوسع والانتشار واحتلال الشعوب الصغيرة واستغلال البلاد الضعيفة .. على طريقة القوى يأكل الضعيف والسمك الكبير يتغذى بالسمك الصغير ويبدو أن ديجول لم يفهم حقيقة التطور الذى طرأ على الانسانية فى عهدها الاخير وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية التى استفلت فيها هذه الشعوب الصغيرة المستعبدة واستنزفت دماؤها وامكانياتها .. واستدرجت بدعوى حقها فى تقرير المصير .. ذلك المبدأ السحرى الذى تردد صداه فى ١٤ اغسطس سنة ١٩٤١ على أثر اعلان تشرشل وروزفلت الذى قدماه للشعوب المحتلة من فوق السفينة « برنس اوف ويلز » والذى يقولان فيه « ان بلديهما لايبحثان عن أى توسع اقليمى اومن أى نوع اخر ، وانهما لايرغبان فى ان يحدث أى تعديل فى أى اقليم لايتفق والارادة الحرة لشعب هذا الاقليم وانهما اخيرا يحترمان كل الحقوق التى تمطى الشعوب حقها فى اختيار شكل الحكومات التى تعيش فى ظلها .. »

هذه الشعوب التي خدعها اعلان الحلفاء المذكور كثير عليها ان تخدع فقامت بعد الحرب تطالب بحقها فى تقرير المصير طبقا لتصريح ١٤ أغسطس ولميثاق « سان فرانسسكو » الذى كان أهم مبادئه هو مبدأ « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » .

نقول يبدو ان ديجول لم يفهم حقيقة التطور الذى طرأ على الانسانية فى هذه الفترة .. ولم ير الشعوب الصغيرة تهب من رقدتها وتثور على اللصوص الكبار أصحاب الامبراطوريات من أمثال ديجول وتشرشل .. وتنجح فى كسب المعارك .. وتحصل فعلا على استقلالها .

ـ رغم هذا كله فان ديجول كان ولا يزال يحلم « بفرنسا الأمبراطورية » ولا يهمه بعد ذلك اذا كان هذا الحلم يعنى الاعتداء القذرعلى حق الشعوب الصغيرة التى يريد أن يقيم عليها امبراطوريته

ومن هنا تولدت فيه نزعة الاستعمارية التى كانت حتى ذلك اليوم لاتزال موجودة وقائمة ومتملكة منه .

سوابق ديجول الاستعمارية :

٢ ـ وتاريخ ديجول ذاته حافل بالمواقف والجرائم الاستعمارية التى تكفى لوضع ديجول ضمن قائمة أقذر الاستعماريين فى العالم والتاريخ .

والفترة التى تعنيها بالذات هى فترة ما بعد سنة ١٩٤٤ بعد تحرير فرنسا وعودة الحكومة الفرنسية الى باريس برئاسة الجنرال ديجول .. فقد كانت هذه الفترة هى بداية الصراع بين فرنسا وبين المستعمرات التى قامت تطالب بحقها فى تقرير مصيرها بعد ان تحقق النصر للحلفاء بمساعدة شعوب هذه المستعمرات وامكانياتها كلها .

مؤتمر برازافيل :

وكان رد ديجول مبنيا على اساس النظرية الاستعمارية القائمة التى وضعها فى مؤتمر « برازافيل » والتى تنص على ما يلى :

« ان النتائج التى وصلت اليها فرنسا فى النهوض بمستعمراتها توصد الباب امام كل حق فى الحكم الذاتى أو أى احتمال للخروج

على الكتلة الفرنسية ويجب الابتعاد عن انشاء حكومات مستقلة في المستعمرات في المستقبل البعيد . »

ففي الجزائر مثلا قامت حركة سياسية قوية من زعماء الحركة الوطنية الجزائرية حينذاك كانت تنادي بتصفية الاستعمار الفرنسي واعلان الجمهورية الجزائرية المستقلة ، مع ارتباطها بفرنسا ارتباطا تعاقديا تلتزم فيه باحترام حقوق السكان الاوروبيين المشروعة ..

ولم يكد ديجول يسمع بانباء هذه الحركة حتى جاء الى الجزائر وأعلن رده عليها بخطاب القاه في مدينة « قسنطينة » قرر فيه ادماج الجزائر بفرنسا واعتبار الجزائريين جزء من الشعب الفرنسي وبلادهم جزءا من الوطن الفرنسي الى الابد ..

وكان هذا الرد ينطوي على تحد صريح للحركة الوطنية واماني الشعب الجزائري ، وكان يحكم بالاعدام نهائيا على اى فكرةاستقلالية أو تحررية « ويوصد الباب نهائيا امام كل حق في الحكم الذاتي أو احتمال الخروج على الكتلة الفرنسية »

هكذا .. بالضبط كما تقرر في « برازافيل » ..

ولم يكتف ديجول بذلك بل اتخذ سلسلة من الاجـــراءات الانتقامية والارهابية ضد زعماء الحركة الوطنية فقبض على فرحات عباس رئيس حزب البيان والقى به في السجن .. ونفى زعيم حزب انصار الحريات .. وقبض على كل الزعماء الوطنيين والشباب الحر والقى بهم في السجون حتى يخمد كل صوت ينادي بفكرة الاستقلال أو الخروج على فرنسا ..

بطل مذبحة ١٩٤٥ :

ثم لم تأت ســـنة ١٩٤٥ .. وبالذات في مايو سنة ١٩٤٥ حتى ارتكب ديجول افظع جريمة في تاريخ الانسانية كلها ضد الشـــعب الجزائري .. ذلك أنه في ذلك اليوم كان الحلفاء يحتفلون بانتصارهم على المحور .. وكانت عواصم الدول المنتصرة .. باريس .. ولندن .. وواشنطن .. كانت كلها مضاءة وقد ملأتها أقواس النصر .. وخرجت شعوب هذه الدول تهتف للديمقراطيـة المنتصرة وتعلن ابتهاجها باستسلام المحور ومقتل النازية الى الابد .

فى هذا اليوم خرج الشعب الجزائرى ايضا يحتفل بهذا النصر الذى ساهم فى تحقيقه بخمسة وثمانين الف قتيل من شبابه شاركوا فى الحرب وماتوا فى ميادينها ليشاركوا فى صنع النصر للحلفاء .. ولفرنسا معهم ..

وكان من حق الشعب الجزائرى فى هذا اليوم أن يعلن عن أمانيه ومطالبه .. وكان هذا الحق مستمدا من تصريح الحلفاء السابق الإشارة اليه ومن قرارات مؤتمر سان فرنسسكو بل ومن طبيعة الاشياء فى مثل هذه الظروف .

فنادت جموع الشعب الجزائرى مطالبة بالاستقلال وانهاء الاحتلال الفرنسى للجزائر ..

وهنا انهارت أعصاب المستعمر الاكبر وصاحب الحلم الذى كان لازال يتملك منه .. فأمر بضرب الشعب واسكات صوته هذا ..

وهنا تصدت للشعب الاعزل حملة اجرامية لم يشهد لها التاريخ مثيلا .. من جنود المشاة .. وسلاح الطيران والاسطول .. واخذوا يمطرون المدن التى قامت فيها هذه المظاهرات بوابل من النيران استمرت دون انقطاع ثلاثة ايام كاملة ولم تنته حتى كانت شوارع هذه المدن قد اصبحت بحورا من الدم .. تسبح فيها عشرات الالاف من جثث القتلى واشلاء الضحايا وكان عدد القتلى حسب التقرير الذى قدمته لجنة التحقيق الفرنسية ذاتها . خمسة واربعين ألف قتيل .. ولكن الحقيقة كانت أهول من ذلك بكثير لان اللجنة الفرنسية اشفقت على فرنسا من جزع العالم اذا اعلنت الحقيقة كاملة ..

كان ديجول هو بطل هذه المأساة ..

وهو الذى يتحمل مسئوليتها لانههو الذى كان يحكم فرنسا فى ذلك الوقت وما كان يمكنه باى حال من الاحوال ان تتم عملية ارهابية بالغة الخطورة كهذه بدون امره أو موافقته على الاقل خاصة وانه لم يكن ذلك الرجل الذى يوضع امام الامر الواقع والذى يمكن التصرف من وراء ظهره .

موقفه من حركة التحرير السورية :

ولم يكن هذا الاجرام من نصيب الشعب الجزائرى وحده ..

بل لقد حدث مثيل له في سوريا .. وقد كانت لاتزال محتلة بالقوات الفرنسية بعد عودتها اليها بواسطة الحلفاء ..

والغريب ان ديجول ذاته كان قد اعلن « من لندن » أيام هربه من وجه النازى ـ كان قد أعلن اعترافه باستقلال سوريا واعلن استعداده يومها لتنفيذ هذا الاعتراف فور انتصار الحلفاء وعودته الى باريس .

ولكن ..

لم تكد الحرب تنتهى بانتصار الحلفاء حتى تنكر ديجول لوعوده واراد على العكس ان يبقى سيطرته واحتلاله للاراضى السورية حتى لايضيع اى جزء من امبراطوريته الخيالية التى لا تعيش الا فى خياله المحموم .

قالت جريدة « المساء » فى وصف هذا الموقف ما يلى :

ويبدو أن الفرنسيين وزعيمهم ديجول هالهم ان يطردوا من الشرق تماما ، وكان ديجول يعلن برامجه على اساس « بعث مجد الامبراطورية الفرنسية » وافزعه ايضا ان يتضامن السوريون واللبنانيون أيضا فى طلب الجلاء والاستقلال التام .

ففى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٥ تقرر ان يعقد المجلس النيابى السورى جلسة يعلن فيها طلب الجلاء الناجز فورا ، واعد الفرنسيون خطة جنونية هى ضرب البرلمان بالقنابل خلال اجتماع النواب والوزراء ، واستطاع هؤلاء ان يعلموا بالخطة قبل اجتماع المجلس بلحظات ، فتفرقوا قبل انعقاد الجلسة ، ونجوا من المذبحة وثار الفرنسيون ولم يجدوا ما يشفى غليلهم سوى الانقضاض على دمشق وضربها ضربا عنيفا متواصلا بالقنابل ومن المدافع والطائرات وتكرار مأساة سنة ١٩٢٦ .

وهكذا كان موقف ديجول .. رد اجرامى على حق الشعب فى حريته واستقلاله .. وضرب بالقنابل وفتك بالمدنيين ..

كان ديجول لايحب أن يسمع هذا الصوت .. صوت الاحرار ينادون بحقهم المسلوب .

كان ديجول يريد أن يبقى الاستعمار الى الابد ..

وأن تبقى الشعوب مستعبدة مستذلة له الى الأبد ..

والا ...

فبالحديد والنار والقتل والأبادة يواجههم ..

موقفه من الهند الصينية :

وطالب ديجول الحلفاء بمساعدته فى العودة الى الهند الصينية حتى يعيد احتلالها كما كان قبل الحرب ..

ورغم ان حكومة شعبية كانت قد قامت فى هاندى باقليم التنكان وذلك بعد استسلام اليابان فى ٨ أغسطس سنة ١٩٤٥ الا أن ديجول تجاهل هذه الحقيقة وصمم على استرداد الهند الصينية بكامـــل اجزائها واسقاط هذه الحكومة وهدم أى كيان استقلالى هناك .

ووضع ديجول أسس سياسة فرنسا فى الهند الصينية وقد سارت على أساسها الحكومات الفرنسية التى جاءت بعده اذ تمكنت هذه من اعادة احتلال الهند الصينية فعلا فى ٣ مارس سنة ١٩٤٦ بعد خداع « هوشى منه » زعيم الثوار الفيتميين ودعوته للمفاوضة فى باريس على أساس منح الهند الصينية استقلالا ذاتيا معارتباطها بفرنسا فى الشئون الخارجية والدفاع .. ولكن لم تكد القـــوات الفرنسية تنزل فى الهند الصينية حتى قطعت حكومة باريسالمفاوضة وأعلنت انها لا تستطيع الاعتراف بالاستقلال الذاتى للهند الصينية الا بعد اخماد حركة العصيان القائمة هناك وعودة السلام ..

وهكذا ..

موقفه من الحركة الوطنية فى تونس :

كان موقف ديجول من الحركة الوطنية فى تونس اذ رفض ديجول رفع الحماية الفرنسية عن تونس وعزل « احمد المنصف » باى تونس فى ذلك الوقت لعطفه على الحركة الوطنية وتأييده لها بتعيين وزارة وطنية برئاسة « محمد شنيك » .. وبعد عزل الباى المذكور عين ديجول رجلا بدله من عملائه لتنفيذ سياسته الاستعمارية فى تونس ..

وبالطبع لم تحصل تونس على أى كسب وطنى فى عهد ديجول .. بل كان يقاوم بكل عنف أى فكرة أو حركة وطنية .. حتى ان « بورقيبة » الذى كان من أشد المتحمسين لديجول والمعاونين له ايام حكومة فرنسا الحرة على أمل ان يكسب لبلده شيئا منه بعـــد الحرب .. بورقيبه هذا عندما وجد ديجول متنكرا هكذا للحركة الوطنية اضطر الى الالتجاء الى القاهرة لتنظيم الحركة بعيدا عن تونس خوفا من بطش ديجول وتنكره له .

موقفه من الحركة المراكشية :

وفى مراكش كان ديجول ينهج نفس السياسة الاستعمارية .. فانه بعد تحرير فرنسا تسلم ايضا سلطة الحماية على مراكش كما كان من قبل الحرب .. واعتقد المراكشيون رغم ذلك انهم يستطيعون مطالبة فرنسا برفع هذه الحماية والاعتراف باستقلال مراكش .. فقدم حزب الاستقلال المراكشي مذكرة للمقيم العام بهذا المعنى .. الا ان المقيم العام رفضها .. بل ولجأت فرنسا برئاسة ديجول .. فى أواخر يناير سنة ١٩٤٤ الى اعتقال زعماء الحركة الوطنية المراكشية والزج بهم فى السجون .. مما ادى الى انفجار ثورى شعبى وخاصة فى مدينة «فاس» وأمر ديجول كعادته بضرب الثورة بعنف وقسوة . .حتى سقط من الشعب مئات القتلى تحت رصاص البوليس الفرنسي الذى ينفذ اوامر ديجول .

هكذا تصرف ديجول ازاء الحركات الاستقلالية فى البلاد الخاضعة للنفوذ الفرنسي فى ذلك الوقت .

كان استعماريا من الطراز الاول ..

ولذلك اختاره المستوطنون ..

ليلعب نفس الدور .

أو ليكمل دوره الذى بداه بعد الحرب العالمية الثانية ..

على حساب الشعب الفرنسي :

على ان حقيقة هامة يجب ابرازها هنا قبل ان نختتم هذا الفصل ..

هذه الحقيقة هي ان الدور الاستعمارى الذى اريد لديجول ان يلعبه هذه المرة لم يكن لمصلحة الشعب الفرنسي باى حال من الاحوال ... لان مصلحة الشعب كانت على العكس من ذلك تماما ..

كانت مصلحته فى ان يصفي استعمار الجزائر ويسترد النصف مليون جندى من شبابه الموقوفين هناك .. ويوفر الثلاثة ملايين دولار التى تصرف يوميا على هذه الحرب .. ويفيق بعد ذلك لاصلاح ميزانية فرنسا المخربة .. ونفسيتها المنهارة .. وكيانها الضائع .

ولكن .. رغم هذا كله .. فقد كان على ديجول ان يستمر فى السياسة الاستعمارية تجاه الجزائر .. لحساب المستوطنين وعلى حساب الشعب الفرنسي .

(٤)

الطريق أمام ديجول

« ان ديجول لم يعمل اى حساب للكوارث التى ستنتج عن الحرب وتصيب الاقتصاد الفرنسى واحوال معيشة الشعب بضربة قاصمة .. ستؤدى هذه الحرب بكارثة هائلة على فرنسا تجعلها تخسر كل شيء ، وتعزلها عن المجال الدولى .. »

مجلة الليومانيتيه الفرنسية
يونيو ١٩٥٨

ديجول والشعب الفرنسى :

رغم كل الحقائق التى اوضحناها فى الفصول السابقة عن تآمر ديجول مع المستوطنين للوصول الى الحكم وتحقيق اهدافهم الاستعمارية التى تتعارض كل التعارض مع مصالح الشعب الفرنسى رغم هذا كله فقد قيل زورا انه قد جاء لانقاذ الشعب الفرنسى من محنته .. وقيل انه جاء لانقاذ فرنسا .. وقيل انه « جان دارك » الثانية ..

ودعاية ضخمة واسعة من هذا النوع أحيطت به .. وكان أساس هذه الدعاية كلها مستمد من ماضى ديجول وما يقال عنه انه انقذ فرنسا من الاحتلال الالمانى بعد انهيارها عام ١٩٤٠ .

ولكن ..

ديجول لم يكن بطلا :

ان كل مافى ماضى ديجول هو انه عقب استسلام فرنسا فى الحرب العالمية الثانية للقوات الالمانية الفازية .. هرب الى لندن وأعلن من هناك ان فرنسا لم تمت .. ثم دعى الى مقاومة الالمان وطلب من القوات الفرنسية خارج فرنسا الا تستسلم او تلقى السلاح .. ثم انتقل بعد ذلك الى الجزائر عندما استطاع الحلفاء انزال قواتهم بها فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .. ومن الجزائر اعلن ديجول حكومة فرنسا الحرة .. فى المنفى وتعاون باسمها مع الحلفاء .. حتى استطاع هؤلاء ان يعيدوا تحرير فرنسا فى عام ١٩٤٤ .

والواقع ان ديجول لم يقم بدور حقيقى فعال فى هذا التطور كله ..

بل الحلفاء هم الذين صنعوا كل هذا لفرنسا ..

ففى أول الامر .. كان تشرشل هو الذى فتح صدره لديجول واتاح له كل وسائل النشر والدعاية .. وكان من مصلحة تشرشل حينذاك أن يحتضن ديجول حتى يستطيع ان يطلب باسمه من القوات الفرنسية خارج فرنسا عدم الاستسلام او ترك السلاح .. ولكى تستمر فى الحرب ضد المانيا .

ولو أن تشرشل لم يفتح صدره لديجول لماتت حركة ديجول منذ اليوم الاول لها .. لان ديجول كان هاربا .. وكان يعمل على ارض أجنبية .. وتحت اذن وسيطرة اصحاب هذه الارض الاجنبية.

ونفس الشىء ..

لم يستطع ديجول دخول الجزائر واقامة حكومة فرنسا الحرة هناك الا بعد أن استطاع الحلفاء انزال قواتهم بها فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .. بقوات امريكية انجليزية .

ولم يكن ديجول هو الذى فتحها .. بل لم يكن سوى «طرد» من طرود الحلفاء التى احضروها معهم عند انزال قواتهم .

وبعد ذلك ..

الذين حرروا فرنسا ..

لم يكن هو ديجول .. أو حركة ديجول ..

كانت أولا حركة المقاومة السرية داخل فرنسا ذاتها ولم يكن لديجول أى دور يذكر فى هذه الحركة ..

ومن خارج فرنسا كانت جيوش الحلفاء ... حتى ارغمت المانيا تحت ضغط هزائمها المتكررة امام الحلفاء ان تسحب جيوشها من فرنسا وتتركها ..

وعندئذ عاد اليها ديجول .. مرفوعا على أيدى الحلفاء .. وداخلا الى باريس فى موكب الابطال كما لو كان هو المحرر ..

وظل ديجول يردد هذه الكذبة .. انه هو الذى حرر فرنسا . حتى صدقها هو .. وصدقها الشعب الفرنسى ..

والحلفاء انفسهم هم الذين ساعدوه بعد ذلك على استرداد المستعمرات الفرنسية التى ضاعت اثناء الحرب .

ساعدوه على العودة لسوريا ولبنان .. والهند الصينية .. ومن قبل الى مراكش والجزائر وتونس ..

فديجول اذن لم يكن سوى صوت يجعجع .. والذين انتصروا على المانيا واعادوا لفرنسا حريتها ونفوذها كان هم الحلفاء لا ديجول .. ولولا أنهم انتصروا فى الحرب على المانيا لكانت المانيا لا تزال حتى اليوم تدوس على قلب فرنسا وتذلها .. ولضاعت من خريطة العالم الى الابد صورة فرنسا رغم انف ديجول وصوته الاجش .

ديجول « الرمز » :

الشيء الوحيد الذى يردده انصار ديجول والمعجبون به هو انه كان رمزا لفرنسا التى لم تستسلم .. مجرد رمز .. وهذا يكفيهم

وبهذا الرصيد التافه يعيش ديجول ..

ويكتسب هذه الشهرة الواسعة ..

وتلك السمعة العالمية .. كان مجرد رمز ..

على ان هذا الرمز الذى انعقدت عليه آمال الشعب الفرنسى يوم محنته لم يستطع أن يقوم بدور ايجابى فى بناء فرنسا بعد الحرب .. وبعد ان أصبح حقيقة .

فقد تولى الحكم بعد تحرير فرنسا .

وبقى فيه ما يقرب من عامين .

ولم يصنع شيئا على الاطلاق سوى خوض معارك استعمارية زادت رصيد فرنسا من الخراب والانهيار .. حتى ترك الحكم فى يناير ١٩٤٦ غير مأسوف عليه .. ولم يرتفع صوت واحد وقتها يطالبه بالبقاء ..

وعاش ديجول بعد ذلك يكتب مذكراته وينشرها على الناس حتى يزيد الكذبة التى نسجت من حوله تأكيدا .. وحتى يدخل التاريخ من باب الابطال .. وكان يشبه نفسه « بكليمنصو » و « جان دارك » ...

سؤال :

ودعونا نصدق ديجول فى انه بطل ..

وفى أنه منقذ ..

ودعونا نحاسبه اذن على هذا الاساس ..

هل هى رغبته الصادقة فى انقاذ فرنسا هى التى دفعت به الى الحكم فى يونيو ١٩٥٨ ..

ودعونا ننسى انه جاء على حراب المستعمرين واعداء الشعب الفرنسي ..

وانه تولى الحكم على أكتاف جنرال ماسو الذى سبب لفرنسا عارا أسود بما ارتكبه من فظائع تفـــــوق فى وحشيتها وضراوتها أساليب النازى ومحاكم التفتيش ..

دعونا ننسى ان ديجول أيد اكبر حركة اجرامية فى تاريخ فرنسا قامت لحساب الذين تضخمت بطونهم من شرب الدماء وأكل لحوم البشر على حساب الشعب الفرنسي وحده .

وتعالوا بنا نحاسبه ..

طريق الانقاذ :

ان دور البطولة والانقاذ الذى كان المفروض ان يلعبه ديجول لو كان صادقا حقا على عهد الشعب .. ومخلصا وأمينا لمصلحة هذا الشعب ..

دور الانقاذ هذا كان يقتضيه ان يعلن من اليوم الاول الذى تولى فيه الحكم وضع حد للكارثة التى تفتح انيابها على الشعب الفرنسي اولا ..

وهذا ما كان الشعب الفرنسي يتمناه ويريده ويتوق اليـــه بفارغ الصبر .. والكارثة هى حرب الجزائر .

والشيء الوحيد الذى كان يضع لها حدا هو الاعتراف فورا بحق الشعب الجزائرى فى الاستقلال والحرية .. اعتراف شجاع واثق يستجيب لدواعى المصلحة العليا لشعبه دون ما تأثر بنعرات كاذبة تكلفه فوق ما يطيق .

وقد كانت الحقائق كلها امام ديجول واضحة .. ومذهلة فى وقت واحد .. حقائق الامور التى ادت اليها الحرب الجزائرية بالنسبة لوضعية فرنسا والشعب الفرنسي ..

ولم تكن تشير هذه الحقائق كلها الا الى حل واحد لاغير يتحقق معه انقاذ فرنسا والشعب الفرنسي .. هذا الحل هو الاعتراف فورا بحق الشعب الجزائرى فى الحرية والاستقلال .. ثم اقامة نوع من التعاون المجدى بين البلدين لصالح شعبيهما على أساس من السيادة والتقدير المتبادل .

ونحن لانلقى الكلام على عواهنه ..

حالة فرنسا من خلال الرأى العام الفرنسى :

ويكفينا لتأييد هذا القول ان نقدم هنا صورة كاملة للحالة التى كانت تعانيها فرنسا عندما تولى ديجول الحكم .. لان هذه الصورة وحدها هى التى يمكن ان تحدد الطريق امام الذى يريد أن يخلص لشعبه ويعمل على انقاذه .. اذا كان حقا مخلصا من أجل هـذا الشعب ..

وهذه الصورة مستمدة من أقـوال الفرنسيين انفسهم .. والذين يحسـون بالكارثة أكثر من اى أحد آخر .

والذين يصنعونها بكل مرارة .. ولكنها مرارة الذى يشعر بان أمره فيها قد انتهى الى مصير واحد اذا اراد الابقاء على آخر رمق يتعلق به ..

هؤلاء هم الفرنسيون .. كلهم مجمعون على ان حرب الجزائر تجر فى اذيالها الخراب والدمار للشعب الفرنسى وتصيبه بأكبر كارثة منذ كارثة الحرب العالمية الثانية .

صحيفة « الليومانيتيه » الفرنسية تقول :

« ان ديجول لم يعمـل أى حساب للكوارث التى ستنتج عن الحرب وتصيب الاقتصاد الفرنسى واحوال معيشة العمال بضربة قاصمة .. ستؤدى هذه الحرب بكارثة هائلة على فرنسا تجعلها تخسر كل شىء ، وتعزلها عن المجال الدولى »

مأساة الشعب الفرنسى :

وبيير كورتاد الكاتب الفرنسى الكبير يقـول فى صـحيفة « انتر ناشيونال افيرز » مايلى : « أن هناك حوالى ٤٠٠ ألف من شباب فرنسا يقضـون اجازاتهم على الرمال تحت الخيام – فى الجزائر – بينما تعلن الصحف – كما اعتادت أن تعلن أثناء حـرب الهند الصينية ، أن عائلات القتلى يستطيعون « تسـلم الجثث فى أسرع وقت دون تأخير » ..

ويقول الكاتب فى موضع آخر بعـد أن حلل خسائر الشعب الفرنسى من جراء اسـتمرار الحرب الجـزائرية . يقول : « ان استمرار الحرب الجـزائرية وما جرته على البـلاد من متاعب اقتصادية جسيمة جعل فئـات واجزاء كبـيرة من الفرنسيين يستيقظون ويسعون الى تفهم دقيق لمجريات الامور فى بلادهم ... الامر الذى سيؤدى فى النهاية الى ايجاد حل « يسـارى » للازمة

بأسرها » . ويقصد الكاتب بالحل « اليساري » ذلك الحل الذي ينادي به اليساريون والمتحررون من الاعتراف بحق الجزائر في الاستقلال التام .. » ويستطرد الكاتب قائلا : « ان غالبية الامة متبرمة بالسياسة التي تسير عليها الحكومة ، ومتشائمة من امكان الوصول بسياسة تهدئة الحالة في الجزائر الى أي نتيجة ، وأصبح يوجد محل للسؤال التالي : **الى أي حد تتفق هذه السياسة في المدى البعيد ـ مع مصالح الامة ؟!! ... وقد بدأت بوادر الشك الجدي تنمو بين الدوائر البرجوازية في قيمة الاستمرار في نوع من الحكم الاستعماري للجزائر ، الامر الذي لن يعود بالفائدة الا على حفنة قليلة العدد من الرأسماليين وأغنياء المستعمرين الموجودين في الجزائر »** . ـ ـ

وكتب « مارسال فورني »» في جريدة « ليبراسيون » الفرنسية مقالا طويلا عن الوضع العسكري في الجزائر قال في نهايته : **« ان أبناء فرنسا الذين صاروا يموتون في الجزائر أكثر فأكثر ، والرأي العام الفرنسي بدأ يسخط على حرب الجزائر ، والخسائر الفرنسية في جميع الميادين لم تبلغ في الماضي ما بلغته في هذه الايام بسبب الحرب الجزائرية . »**

تقرير عن الخراب الاقتصادي :

وفي يناير سنة ١٩٥٨ اجتمع مؤتمر من الاساتذة الجامعيين الفرنسيين لمناقشة القضية الجزائرية . وجاء في تقرير هذا المؤتمر

الحرب خراب اقتصادي :

« ان مواصلة الحرب ترجع بالخراب على الاقتصاد الفرنسي . ففرنسا تواجه صعوبات فيما يخص منافسة البلدان المجاورة وهي منافسة ستزيد فيها السوق الاوروبية المشتركة . ويصبح من الضروري تنظيم فترة تقشف (وهو شيء لايتحمله الفرنسيون) والتنقيص في مشاريع الانتاج في بناء المنازل وفي ميزانية التعليم مما يتسبب في هبوط مستوى المعيشة عند الجماهير القاطنة في المدن والقرى وبعبارة مجملة يتسبب كل ذلك في جعل فرنسا بلدا متأخرا اقتصاديا ، والان يكثر الحديث عن المنافع الصحراوية ولكن بترول الصحراء لايمكن ان ينقل في أنابيب تعبر النواحي الموجودة فيهـا الحرب . اذ يسهل تخريبها على الثوار في كل لحظة . ان الحرب تجعل كل الامال المعلقة على الصحراء تتبخر وبالعكس فإن

السلم هو الذى يمكن معه الامل فى ايجاد مجموعة اقتصادية ضخمة لفائدة جميع البلدان المجاورة » .

وأخيرا لا حاجة بنا الى التذكير بان حرب الجزائر (زيادة على الخسائر فى الارواح التى تتسبب فيها) تصير كل يوم اخر ، عاملا من عوامل تعفن الحياة السياسية وتسمم الجو السياسى .

وليس هذا فحسب ... ان الكتاب الفرنسيين يجمعون على أن حرب الجزائر تشكل كارثة على فرنسا من جميع النواحى .. ولو أننا حاولنا استعراض جميع ماقيل وما نشر فى هذا الخصوص لاحتجنا لمجلد ضخم لنحيط بذلك كله ..

ولكننا رغم ذلك سنزيد على ماسبق ذكره الآراء والمقالات التالية ..

الاتجاه الهبوطى :

المفكر الفرنسى الشهير « بيار هنرى سيمون » كتب يقول :

« منذ ثلاثين عاما والتاريخ يتحرك فى اتجاه معاكس لفرنسا ولكنها تواجهه مواجهة فاشلة فقوتها السياسية طيلة هذه المدة تسير فى هبوط متواصل . ومكانتها العالمية فى تدهور . وممتلكاتها فيما وراء البحار انفصلت عنها وما تزال اما بالعنف أو بالتدريج واستقلت . وعملتها تهبط قيمتها باستمرار . وقوتها العسكرية تعتمد فيها على الخارج اكثر فأكثر مع مرور الزمن . **وهذا الاتجاه الهبوطى الذى تسير فيه يشعر فيه الفرنسيون بلذة الانحدار فيستسلمون له** . وكان كل واحد منا عندما يفكر فى الامر يقول بينه وبين نفسه أن آباءنا وأجدادنا قد خدموا كثيرا لان الحظوظ كانت مواتية لهم . اما نحن اليوم فان الظروف تعاكسنا . فليس لنا اذن الا أن نعيش براسمالهم وبالذى خلفوه لنا .

والدولة ايضا تتصرف بناء على هذا التفكير . فهى تغرق فى كل عام فى عجز لايقل عن الف مليار فرنك . ولكن بما انها تستطيع ان تطبع الاوراق المالية الجديدة فانه لا يهمها أن تغرق فى الديون .

ومن الناحية السياسية فان جميع المسئولين الفرنسيين متفقون على فساد النظام السياسى ولكن بما أن الفساد لايتضرر منه الا الوطن الفرنسى ولا تتضرر منه الطبقة الحاكمة التى تجد فيه — بالعكس — كل منافعها مضمونة — فانها لاتريد أن تغير منه شيئا . ومما زاد فى تشجيعها على هذا الاستهتار هو عدم اكتراث الشعب

الفرنسي بالفساد ، وعـــدم اكتراثه ترجع اسـباب الى الإقتناع بالمغالطات .

المشكلة والسبب :

وبعد أن ينتهي « هنري سيمون » من تحليل أوجه الفســاد والانهيار الفرنسي ... يتكلم عن المشكلة والسبب .. فيقول :

« والمشكلة التي سببت متاعب فرنسا وأزمتهـا الخطيرة التي تشرف بها اليوم على الانهيار ــ هي كماقال منديس فرانس أنها تريد من ناحية أن تنفق الاموال الطائلة في الاصلاح الاجتماعي وتحسين مستوى الشعب الفرنسي ، وتنمية ثروته ودخله .

وتريد من ناحية أخرى ان تواصل النفقات على حرب الجزائر التي لاتريد ان تعلن مبلغهـــا الحقيقي ، والتي تقدرها المنظمـــة الاقتصادية الاوربية التابعة للامم المتحدة بما يقرب من مليــارين في اليوم الواحد . على أن هـــذا المبلغ حسب بعض الاختصاصيين الانكليز والامريكان يتناول الناحية المالية وحدها ولايشمل الناحية الاقتصادية ، أي نفقات تدفعها فرنسا نقدا ولا تدخل فيها الخسائر الاقتصادية التي ليست نقدا مثل حرمان المصانع الفرنسية من عمل نصف مليون شاب فرنسي مجندين دائما في الجزائر كمـا لايدخل في هذا المبلغ نفقات كثير من المؤسسات الخارجة عن وزارة الدفاع الوطني الفرنسي مثل نفقات معامل التصليح التي يعاد فيها تركيب السيارات والطائرات المخربة في الحرب الى آخره .

فمنذ سنة ١٩٥٤ الى ســنة ١٩٥٧ ارتفعت نفقات فرنســا العسكرية بمبلغ ٦١٦ مليارا في كل عام . أي أن فرنسا بعـــد أن انتهت من حرب الهند الصينية لم تكتف بعدم انقاص نفقاتهاالعسكرية فحسب بل انها ازدادت عما كانت عليه بالنسبة لتلك الحروب أو بعبارة أخرى ان حرب الجزائر تكلف فرنسا نفقات حرب الهنـــد الصينية مضافا اليها ٦٠٠ مليار في العام . وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تكتم المبلغ الحقيقي الذى تنفقه في حرب الجـزائر ، ولم تعلق بأى شيء على افتراضات الاخصائيـين الاجانب ، ولم تؤيدها ولم تكذبها ، وانما وجدت أن الصمت هو أحسن ملجأ .

الشيء الغريب الذى يجهله الشعب الفرنسى :

وهذه مجلة ((الاوبسيرفاتور)) الفرنسية تتكلم عن نفس المأساة فتقول :

« قال منديس فرانس فى شهر نوفمبر الماضى أمام الجمعية الوطنية الفرنسية أن مصاريف حرب الجزائر شيء غريب حقا ، والشعب الفرنسى يجهل تماما هذا الشيء الغريب ، وكل ما يقال له منذ صيف ١٩٥٦ هو أن الثورة ستنتهى قريبا .

نريد أن نقول بعد هذا ان الثورة الجزائرية قد استطاعت أن تخرب فرنسا .. خربت اقتصادها بهذا الشكل الذى اضطرها للاقتراض من الخارج ولان تقبل شروط الاقتراض التى تنال من سيادتها ولكنها لا تنفعها نفعا حقيقيا ، لانها حتى ولو حصلت على المبلغ الذى تطلبه وهو نصف مليار من الدولارات فانه سيمكنها من أن تواصل الحرب فى الجزائر . وتمنع الاسعار من الارتفاع ، وتستجلب المواد الخام من الخارج ، ولكن كل ذلك لمدة ثلاثة اشهر فقط وستجد نفسها فى الربيع القادم فى نفس الازمة الخانقة التى عانتها فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٧ عندما قال فيلكس جايار أنه لم يجد فى الخزينة ما يدفع منه أجرة الموظفين .

الخراب السياسى والدولى :

وليس هذا الخراب الاقتصادى وحده هو الذى أصاب فرنسا نتيجة الحرب الجزائرية .. ولكن أصابها أيضا انحلال سياسى وانهيار فى مكانتها الدولية .. فضلا عن الاثار الخلقية والنفسية ، وفى هذا تقول المجلة :

ولكن الجزائر استطاعت أيضا بكفاحها أن تخرب فرنسا سياسيا فشتت شمل الاحزاب فيها وأصبحت المقاييس السياسية فى نظر الاحزاب مقاييس انحلالية مخجلة . ولا هم لهـا الا أن تقضى على الرجل الوطنى المصلح وتمنعه من الاصلاح ، وتعرقله فى الوصول الى الحكم وتفسح المجال للاغبياء والانتهازيين والاقزام . وما كادت تطل سنة ١٩٥٨ حتى كانت فرنسا تواجه أعقد مشكلة فى تاريخها الحديث وهى اصلاح الدستور نفسه .

وهذا أيضا علاج سطحى للانحلال السياسى مثل القرض الاجنبى لمعالجة الانحلال الاقتصادى. لان القوم يظنون أن فساد الحالة السياسية راجع الى فساد نصوص الدستور وغفلوا عن انه راسب فى أعماق نفوسهم ، ومواقفهم المتضاربة واستغلال صالح الوطن

لتحقيق المصالح الخاصة . وكما ان القرض الاجنبي الذي سيحصلون عليه عليه تحت عنوان النهوض باقتصاد فرنسا سيستغلونه في الدفاع عن ثروة بورجوودي سيريني في الجزائر ومن وراءهما من ارباب الثروة . كذلك سيستغلون تعديل النصوص الدستورية في المستقبل لسلوك نفس السياسة بغير هذا التعديل .

والحرب الجزائرية هي التي قضت على مكانة فرنسا الدولية ، وكما قال « لويس فالون » . « ان مساهمتنا في الحلف الاطلسي قد تضاءلت بسبب الحرب في الجزائر وقوت مكانة المانيا في هذا الحلف على حسابنا .

وبالاضافة الى التفسخ الاخلاقي ، وبالاضافة الى ارتفاع الاسعار وتناقص صادرات فرنسا الى الخارج وافتقارها بسبب ذلك الى العملة الاجنبية **فان الاموال التي تنفقها فرنسا في الحرب تحرمها من النهوض الثقافي الذي يسير هو ايضا نحو الكارثة كما قال « جاك دوهاميل » .**

والخلاصة أن الاجيال الفرنسية القادمة وحتى الصاعدة الان سوف لن تجد امامها الا الخراب والاحتياج ، لان أجيال فرنسا الحاليون منهمكون في بذل الاموال في المشاريع التي لا تنتج وهي مشاريع الحرب التي تذهب مع الرصاص .

وان الذين يتحدثون عن انحلال فرنسا وانهيارها ينظرون الى هذا الغد المخيف الذي ينتظرها ، ويقابلونه بما كانت عليه بالامس ، ولا ينخدعون بسير الامور فيها في النطاق اليومي .

ان فرنسا لم تنقطع يوما واحدا عن الحرب منذ سنة ١٩٣٩ . لقد قضت ثمانية عشر عاما في الحروب بدون انقطاع .. من الهند الصينية في أقاصي الشرق الى شمال أفريقيا في الغرب . وهكذا ذهبت الامبراطورية الرومانية بالضبط ، وهكذا تسير ابنتها فرنسا بنفس الخطى .

ولعل أبلغ ما يمكن أن نقدمه في نهاية هذا العرض هو ذلك القول البالغ الدلالة الذي قالته مجلة « المجاهد » الجزائرية في عددها الصادر في أول ابريل ١٩٥٨ ، قالت : « ان المؤرخ الذي سيكتب في **يوم من الايام تاريخ الانحلال الذي تجتازه فرنسا الان سيضطر الى تقسيمه الى عدة أبواب .. الانحلال الاقتصادي ـ الاخلاقي . والاداري والعسكري والسياسي .. الى آخره .. »**

وبعد ...

لا انوى بعد هذا العرض السريع أن ألخص الحقائق الرئيسية التى أبرزتها هذه الاراء .. ولكنى أرجو من القارىء ان يعود الى قراءة هذه الاراء كلها مرة أخرى ليعرف ـ بكل تأكيد ـ الى أى مدى وصل انهيار فرنسا . .

ثم ....

انهيار فرنسا العسكرى :

هاهى حقائق أخرى اكثر أهمية ..

مركز فرنسا العسكرى وحالة جيشها الضخم فى الجزائر أمام جيش التحرير الجزائرى .. وهنا أيضا سألجأ الى ما كتبه الفرنسيون أنفسهم أولا ...

مجلة « لوموند » الفرنسية المحايدة وأوسع الصحف الفرنسية انتشارا .. كتبت تحقيقا صحفيا مطولا عن الخسائر المذهلة التى يلقاها الجيش الفرنسى فى الجزائر على يد جيش التحرير .. وقد اختتمت المجلة تحقيقها بقولها :

ان العسكريين الفرنسيين الذين أخفوا هذه الحقائق مدة طويلة لا يحاولون اليوم تضخيمها وتحويل الفرق الجزائرية القليلة ذات السلاح الضعيف الى جيش منظم مسلح يذكر بالمرحلة التى اجتازتها الهند الصينية فى ١٩٥٠ ولكن الشبه بين الوطنيين ليس كاملا ، لان الخطر الذى يهدد الفرنسيين بالجزائر من نوع آخر .. هو خطر يتمثل فى أن فرنسا تقضى كامل النهار فى محاولة القضاء على جيش يتجمع فى الليل ولذلك فهى (أى فرنسا) لا تستطيع أن تتحصل على الانتصار . وقد صرح ضباط عديدون بين كولونيلات وكابيتانات، أن الاساليب التى يستعملها الجيش الفرنسى الان لن تصل به الى نتيجة مضمونة وأنها ستنتهى بطول المدة الى انهاك الوحدات الفرنسية المستعدة للكفاح .

تقرير خطير :

وهذه صحيفة « اكسبريس البارسية » تنشر فى عددها الصادر فى ١٥ مايو ١٩٥٨ النص الحرفى للتقرير الخطير الذى ألقاه النائب الفرنسى « بيير كلوسترمان » أمام الجمعية الوطنية الفرنسة شارحا فيه حقيقة الاوضاع العسكرية الفرنسية فى الجزائر .. ومما يذكر

ان صاحب التقرير قد شارك فى الحرب الجزائرية بصفته أحد كبار ضباط الطيران الفرنسى ..

ولاهمية هذا التقرير ننقل هنا بعض فقرات مطولة منه نقلا عن مجلة « المجاهد » الجزائرية التى نشرت نصه الكامل :

بدأ « كلوسترمان » تقريره بقوله :

ان الانباء التى سأسردها عليكم ستكون مفاجأة شاقة لكم ، خصوصا فى هذا المجلس الوطنى الذى لم تخف حقيقة المعارك الحربية فى مرة من المرات حتى فى أحلك ظروف الهند الصينية — كما أخفيت هذه المرة بالجزائر .. نعم لقد أخفيت عنكم الحقيقة جميعا وقدمت لكم معلومات غير كاملة مصحوبة باستنتاجات خاطئة .

فكم من مرة قيل لنا ان الوضعية العسكرية تحسنت ؟ وكم من مرة أعلنوا لنا أن الناحية الفلانية تمت تهدئتها مثل وادى الصومام والقبائل والاوراس والشلف ؟ وكم من مرة قيل لنا لقد قضى على المنظمات السياسية العسكرية لجبهة التحرير . ونسوا أو لم يريدوا أن يقولوا لكم أن « الثوار » ضاعفوا عددهم ومنظماتهم وعتادهم .

فكيف توصلنا الى هذه الدرجة من التعفن والانحلال ، والى هذا المستوى من الحرب ؟ لاننا عندما نعرف أننا خسرنا المئات من الجنود فى شهر فبراير الماضى — ولنقارن ذلك بخسائرنا فى الاشهر الاولى من ديان بيان فو — فاننا نتيقن أننا نقود حربا حقيقية .

ثم شرح التقرير كيف وصل الامر الى هذه المرحلة التى وصفها بأنها مرحلة « التعفن والانحلال » فذكر هنا أن الجزء الاكبر من الاسلحة التى يحارب بها جيش التحرير الجزائرى هى من غنائمه التى يحصل عليها من القوات الفرنسية نفسها ..

ثم يستطرد الى القول :

ولما رأت القيادة الفرنسية انها عاجزة عن مواجهة الثورة بما لديها من قوات ، طلبت امدادات ضخمة من الرجال والعتاد ، فطلبت ما بين ستمائة ألف وثمانمائة ألف جندى وطالبت بأن تمنح سلطات ادارية واسعة . ذلك أن الجيش الفرنسى لما رأى السكان ينضمون الى « الثوار » انضمامات جماعية هائلة أراد أن يكون له جميع السلطات اللازمة لتنفيذ سياسة القوة والعنف . حتى يربح المعركة — السياسية — العسكرية .

وبالفعل استجابت الحكومة الفرنسية فأعطت كل ما طلب منها من عتاد وأرسلت المجندين وان كانت لم تبعث بالعدد الذى طلب منها ..

وفى هذا الحين بدأ عهد الفرص الضائعـــة فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٦ ..

.. والجيش الفرنسي يسير من هزيمة الى هزيمة .

مراكز محصنة . لكن هذه المراكز ، مع طول الزمن توسـعت، وصارت تتطلب مزيدا من الجنود لحراستها ولحراسة القوافل التى تنقل لها المؤونة . كما أن سلوك الحكومة لسياسة لا تريد فيهـــا تشريك أوروبيى الجزائر فى نفقات الحرب أدت الى أن تبذل باريس نفقات مالية ضخمة ..

ثم جاءت حملة القناة فى ظرف دقيق جدا ، فحرمت الجيش الفرنسي من بعض وحداته المفضلة . وفى هذا الوقت ولد أول « ربع الساعة الاخير» وان كنت لا أدرى هـــل نطق لاكوست بهـــذه الكلمات ـ فقد كذب ذلك ـ ومهما يكن من شيء فقد وجدت دعاية واسعة حول ربع الساعة الاخير جعلت البرلمان والحكومة تجزم بذلك وتذيعه بدورها ، واستقبل الرأى العام الفرنسى هذا النبأ بارتياح .

أما الجيش الفرنسي بالجزائر فمـــا يزال يحمل عن هذا العهد ذكرى اليمة .. لقد كنا نقرأ التصريحات الرسمية المتفائلة ونحن نحرس جثث رفاقنا الذين قتلوا فى المعركة ، وحادثة آفلو « جنوب ولاية وهران » تبرز هذا التناقض الغـــريب الذى وصلنا اليه .. ففى آفلو ١٣ أكتوبر قتـــل من رجالنـــا فى كمـــين نصب شمال جبــــل عمور ، وقد أحدثت هـــذه المعركة هلعا كبيرا فى الصفوف نظرا لما استعمله « الثوار » فيها من أسلحة أتوماتيكية عديدة ، ومن الغد نشرت الصحافة أننا خسرنا ٩ قتلى . وقررنا أن نقوم برد فعل كبير فحشدنا كل ما فى استطاعتنا من عتاد ، مصفحات .. طائرات من كل نوع .. سيارات عسكرية ، حتى أصبحت آفلو من القـــد صورة من « نورمنديا » عندما احتلتها جيوش الحلفاء وساهمت فى هذه العملية التطويقية الكبرى فكنت أوجه طائرات الهيلكوبتر وانسق البحث عن « الثوار » فلم نتوصل الى العثور على أحد ، ومع ذلك فقد أعلنت الصحافة من الغد أن الطيران الفرنسي بقيادة «كلوسترمان» قد حطم « الثوار » وقتل منهم ٤٧ .

وطبعا كان ذلك كله غير صحيح .

ويستطرد كاتب التقرير بعد ذلك فيصف الحالة بمرارة بالغة ، فيقول :

ثم مرت سنة ١٩٥٧ فكانت سنة مضعضعة. فالجنود الفرنسيون صار دورهم مقصورا على حراسة السكان الاوروبيين ، والعتاد العسكرى صار عتادا منهوكا من كثرة الاستعمال ، والذخيرة ناقصة والطيران صار يخضع لقانون حدد له ساعات لا يتجاوزها . والمعارك تنهك قوى الوحدات العسكرية انهاكا يتزايد من يوم لآخر،وكل هذا يقابله من طرف جيش التحرير تمتين كبير لجهازه الحربى ، وزيادة محسوسة فى الرجال والاسلحة ، مماأعان على تعفن الوضعية بالجزائر وعلى انهيار أوهامنا شيئا فشيئا .

ومع طول الحرب ، صارت قضية الجزائر قضية دولية تهم الرأى العام العالمى وأحدثت فى الشمال الافريقى وفى القارة الافريقية بأكملها اضطرابا بدأنا نجنى ثماره المرة التى لم يحل دونها القانون الاطارى .

وشيئا فشيئا وجد الجيش الفرنسى مهمته فى حرب العصابات هذه ، تقتصر على تمثيل ألعن دور وهو دور المدافع فقط .

ثم يختم « كلوسترمان » تقريره الخطير هذا بقوله :

انى لست متشائما ولا انهزاميا ، ولكن قاعدتى كانت دائما هى عدم الاستهانة بالعدو ، ولعل هذا ما يفسر وجودى حيا الى الآن . لقد سكت فى الماضى رغم أن طائرتى أصيبت خلال عشرة أشهر بالجزائر أكثر مما أصيبت خلال أربع سنوات فى الحرب ضد الطيران الالمانى ، واصابات الجزائر أخطر بكثير من اصابات ألمانيا .

انكم ستطالبون بمعرفة الحقيقة ، عندما تعلمون أن وحدة من وحدات الطيران بتبسة خسرت ثلاثة من قادتها فى ظرف ثلاثة أسابيع خلال ١٩٥٦ . كما أن هناك وحدة أخرى ــ لا أسميها ــ صارت جميع طائراتها مثقوبة بالرصاص ، ولم تبق بها طائرة واحدة صحيحة . .

نعم ، ربع الساعة الاخير :

اذهبوا الى « فوردوولو » أو غيره ، وانظروا أولئك الجنـود المساكين لتروا مبلغ تعبهم من الحرب ومللهم من المعارك ، وسترون أن الملل والتعب يحطم افضل الوحدات العسكرية وأحسنها ، اذهبوا لتروا المكلفين باصلاح السيارات العسكرية ، الذين يتولون للمرة الالف ترقيع السيارات التى استعمل بعضها منذ الهند الصينية ، اذهبوا لتنظروا طائرات الهليكوبتر المعطوبة والتى لا تصلح للاستعمال لاننا لم نجد الدولارات لشراء قطعها الناقصة .

ان الطيران يقوم بمعدل ٨ الى ٩ آلاف مهمة فى كل شهر ، ورغم ذلك فان وسائل الطيران تنقصنا فهل تعرفون أن شركات البترول تضطر الى ان تبحث بنفسها عن الطائرات التى تحـرس قوافلها ؟ وهل تعرفون أن الكولونيل بيجار اضطر فى تيميمون الى أن يشترى طائرات مدنية بثمن باهظ للبحث عن الجنود الذين انضـموا الى جيش التحرير ؟

اذن فاحذروا أننا نجتاز الآن ربع الساعة الاخير ، ولكنه ربع ساعتنا نحن .

ولعل هذا التقرير وحده يكفينا .. فهو وثيقة تاريخية فى غاية الاهمية .. والخطورة .. والمفروض أنه تقرير سرى .. مقدم من رجل مسئول الى الجمعية الوطنية الفرنسـية وهى السلطة التى تراقب تد[illegible]ت الحكومة باسم الشعب الفرنسى .. ولكن التقرير رغم كونه [illegible]يا فقد كشف .. وكشف معه الجيش الفرنسى اللاهث على تراب ال[illegible]ائر ..

* * *

ولا تحسدوا فرنسا على هذا ..

فان هذه المحنة التى تمر بها تستحق اشفاق الصديق والعـدو فى وقت واحد ...

وهؤلاء هم الاصدقاء قد أشفقوا طويلا حتى انقلب اشفاقهم الى تبرم لم يعودوا معه يحتملون تبلد الشعب الفرنسى هذا وسكوته على المحنة أكثر من ذلك ...

تعالوا بنا نرى تعليق الاصدقاء . .

المشكلة فى نظر أنتونى ناتنج :

انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى المحافظ كتب تحقيقا صحفيا عن حرب الجزائر فى أواخر سنة ١٩٥٧ قبل أن يتفاقم مركز فرنسا الى الدرجة التى واجهت ديجول . . قال : « **ستخسر فرنسا الحرب فى الجزائر بصفة تامة آخر الامر** ، والى أن تخسرها نهائيا لن تكون التسوية القريبة أمرا ممكنا » .

ثم دلل ناتنج على رأيه هذا بقوله :

« فى الجزائر الان نصف مليون جندى فرنسى ، وهم يكلفون فرنسا بين الف مليون و ١٥٠٠ مليون دولار فى السنة ، ولما كانت فرنسا على وشك أن تصاب بأزمة اقتصادية طاحنة فانه سيتعذر عليها أن تستمر فى الانفاق على حملة الجزائر العسكرية بهذا المنوال »

وفى نظر جيتسكل :

والمستر « جيتسكل » زعيم حزب العمال البريطانى صرح فى فبراير ١٩٥٨ بقوله عندما سئل عن رأيه فى حرب الجزائر . . «انى قبل كل شىء أحب أن أعلن أنه ليس من حقى أن أقدم أنا الحل الذى يجب أن تجده فرنسا للمشكلة الجزائرية . **ولكن يبدو لى أن هذه المشكلة تتخبط فى أزمة لا مخرج منها ، انه ــ طال الزمن أو قصر ــ لابد من الالتجاء الى المفاوضات على أساس الاستقلال للجزائر . »**

وفى نظر ستيفنسون :

والمستر « أدلاى ستيفنسون » نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة صرح فى باريس فى يوليو ١٩٥٧ بقوله حينما سئل عن رأيه فى حرب الجزائر ، وكان الموقف وقتها أيضا ليس بمقدار الانهيار الذى كان عليه حين تسلم ديجول التركة . . قال : « **اننى أعتقد أن الفرنسيين سيقدمون اقتراحات يعترفون فيها بالمطامح المشروعة للعرب . . ويعترفون فيها بسيادة الجزائر ، وأن حل القضية الجزائرية لن يتم أبدا بوسائل القمع** » . .

* * *

وبعــد ....

هذه هي الحقائق ....

كلها تعلن أن كارثة فرنسا فى حرب الجزائر . .وأن استمرار هذه الحرب يزيد المأساة طولا .. ولكنه لن ينتهى بأى حال من الاحوال بالنصر لفرنسا ..

طريق الانقاذ :

وطريق الانقاذ الوحيد الذى رسمه كل الذين تكلموا عن هــذه المأساة هو ايقاف الحرب على الاساس الذى يجعل هذا الهدف ممكنا تحققه بطريقة عملية .. وهو الاعتراف بحق الشعب الجزائرى فى الاستقلال أو بمعنى أصح الاعتراف بحقيقة الواقع .. ان الجزائر قد خرجت من يد فرنسا الى الابد .. وأن الشعب الجزائرى قــد برز الى الوجود كحقيقة لها ذاتية مستقلة واصبح جديرا من العالم بالاعتراف له بهذا الوجود المستقل الذى بناه على أشلاء ضحاياه ، ورواه بدماء شهدائه ..

ولكن ....

نعود الى السؤال الاول ....

هل ديجول يريد حقيقة أن ينقذ فرنسا والشعب الفرنسى من الهاوية ..

قد يقال انه يستطيع أن يقوم بتجربة أخيرة قبل التسليم النهائى بهذا الامر الواقع ..

ولن تكون هذه التجربة بالطبع سوى تكرار السياسة التخريبية التى سار عليها كل الذين سبقوه .. وفشلوا .. وسقطوا ..

ولكن ....

هل كان الشعب الفرنسى يستطيع خوض تجربة جديدة ؟ ..

والى أى مدى يمكن أن يستمر ؟

ثم .. ما هى القوة الخارقة التى أوتيها ديجول حتى يســتطيع أن ينجح هو فيما فشل فيه أسلافه جميعا ..

وأسباب الفشل كلها كانت أسبابا موضوعية لا شخصية ... فالجيش الفرنسى هو ذاته لن يتغــير .. حتى قواده سيبقون فى أماكنهم ...

وامكانيات فرنسا المالية هى هى لن تتغير ..

وهذان هما العاملان المهمان فى تحديد سير المعركة من جانب فرنسا .. وليس فى مقدور ديجول أن يصنع شيئا لهذين العاملين.

أما بالنسبة للجانب الآخر .. ونعنى به جيش التحرير الجزائرى الذى يواجه فرنسا .. فان هذا الجيش هو الآخر لن يهتز أو يرتعد لمجرد أن ديجول تولى الحكم فى فرنسا .. فالامر بالنسبة له سيستمر فى تياره المندفع .. نحو النصر دائما ..

وعلى هذا .. فان التغيير الذى حدث ان كان له أثر ما فان هذا الاثر لن يعدو أن يكون ضجيج الذين يشيعون جنازة العهد السابق والذين يستقبلون العهد الجديد .. وبعد أن ينفض المشيعون والمستقبلون .. تبقى على أرض الجزائر الحقيقة التى كانت قائمة. وهى هذه الحرب الخاسرة بالنسبة لفرنسا والتى قتلت الذين شيعوا جنازتهم وأتت بالذين استقبلوهم .. ولا شك أن هذا المشهد يمكن أن نتكرر أيضا بالنسبة لديجول .. اذا اتبع نفس الطريق الذى سار فيه أسلافه ..

ألم يكن هذا واضحا تماما ..

أن فرنسا لا تحتمل تجربة جديدة ..

وإنه حتى لو كانت تحتمل .. فان الموقف لم يطرأ عليه أى تغيير موضوعى يجعل هذه التجربة محتملة النجاح ..

الطريق الذى اختاره ديجول :

واذن .. وعلى ضوء كل هذا تعالوا بنا نحاسب ديجول .... ونستقرىء السياسة التى اتبعها ازاء المشكل الجزائرى .

وسنرى .. ان خرافة البطولة التى تتملك من رأسه الفارغ هذه .. قد تكشفت عن الحقيقة التى اتضحت تماما يوم خرج يؤيد انقلاب ١٣ مايو ويذهب الى الجمعية الوطنية الفرنسية على رماح الذين قادوا هذا الانقلاب ..

ولم تكن هذه الحقيقة سوى أنه عميل لفئة الاستعماريين والمستوطنين .. وليس منقذا للشعب الفرنسى .

فسنرى أن ديجول قرر منذ اليوم الاول أن يستمر فى حربه

الجزائر ، وأن يطيل فى عمر المأساة رغم ما تجره على شعبه من كوارث فادحة .. وذلك لكى يستفيد تجار الحرب وأصحاب مصانع السلاح ولكى يستفيد أثرياء المستوطنين - ويبقى لهم استغلالهم الجشع للجزائر .. ولو الى حين ..

ثم لا يكون للشعب الفرنسي نصيب من هذا كله .. سوى مزيد من التضحيات والنكبات ..

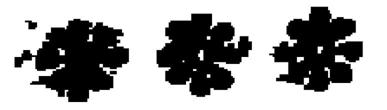
* * *

وسار ديجول فى الطريق القذر ..

المؤدى الى الهاوية ...

* * *

وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب نتكلم عن تفاصيل السياسة التى انتهجها ديجول نحو الجزائر .. وكيف انتهت بالفشل والسقوط ، وزادت محنة فرنسا أكثر مما رأينا ..



الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٣٠ شارع منصور ـ القاهرة
ص.ب ٢٣٩٨

هيئة قناة السويس

الكراكة ((تحتمس))

الكراكة ((تحتمس)) هى احدى الوحدات العائمة التى تستخدمها هيئة قناة السويس فى عمليات صيانة وتوسيع وتعميق القناة وقد صنعت هذه الكراكة بمصانع سكيدام فى هولندا ، وبلغت تكاليف صنعها أكثر من مليون جنيه .

ويبلغ طولها ٧٨ مترا وعرضها ١٣ر٥ متروغاطسها مترين و٦٠ سنتيمترا ، أما قوة محركاتها فتصل الى ٤٤٥ حصانا منها ٣٣٠ حصانا لطلمبة الكسح وحدها . وتستطيع هذه الكراكة تحطيم الصخور وتفتيت الاحجار ثم امتصاص الاتربة بمعدل ١٦٠٠ متر مكعب فى الساعة الواحدة وقذفها الى مسافة بعيدة .

ويتألف جهاز التحطيم الخاص بها من عجلة ضخمة ذات أسلحة حادة ، قطرها ثلاثة أمتار وسمكها ١٨٠ سم ، وتدور بسرعة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ دورة فى الدقيقة بمحرك قوته ٥٠٠ حصان ، فتطحن الارض طحنا ثم تجمع الارض المطحونة امام فوهة ماسورة الشفط التى يبلغ قطرها ٨٥ سنتيمترا .

وتقذف الكراكة الاتربة على الضفة بوساطة مواسير يبلغ قطر الواحدة منها ٧٥ سم وتلك المواسير نوعان : نوع عائم على سطح الماء وقد يصل طوله الى ١٢٠٠ متر ، ونوع يمتد على اليابسة وقد يبلغ طوله ١٤٠٠ م [illegible] هذا أن الكراكة تقذف الاتربة الى مسافة ٢٦٠٠ متر من مركز عملها [illegible]

وكانت هذه الكراكة قد اغرقت فى أثناء الاعتداء الثلاثى على [illegible] انتشالها وأجرى اصلاحها فى ورش الهيئة العمومية ببور فؤاد [illegible] واشراف المهندسين العرب .



الكتاب ١٤٠   الثمن ٣ قروش

صدر يوم الاحد ٣ يناير (كانون ثانى) سنة ١٩٦٠